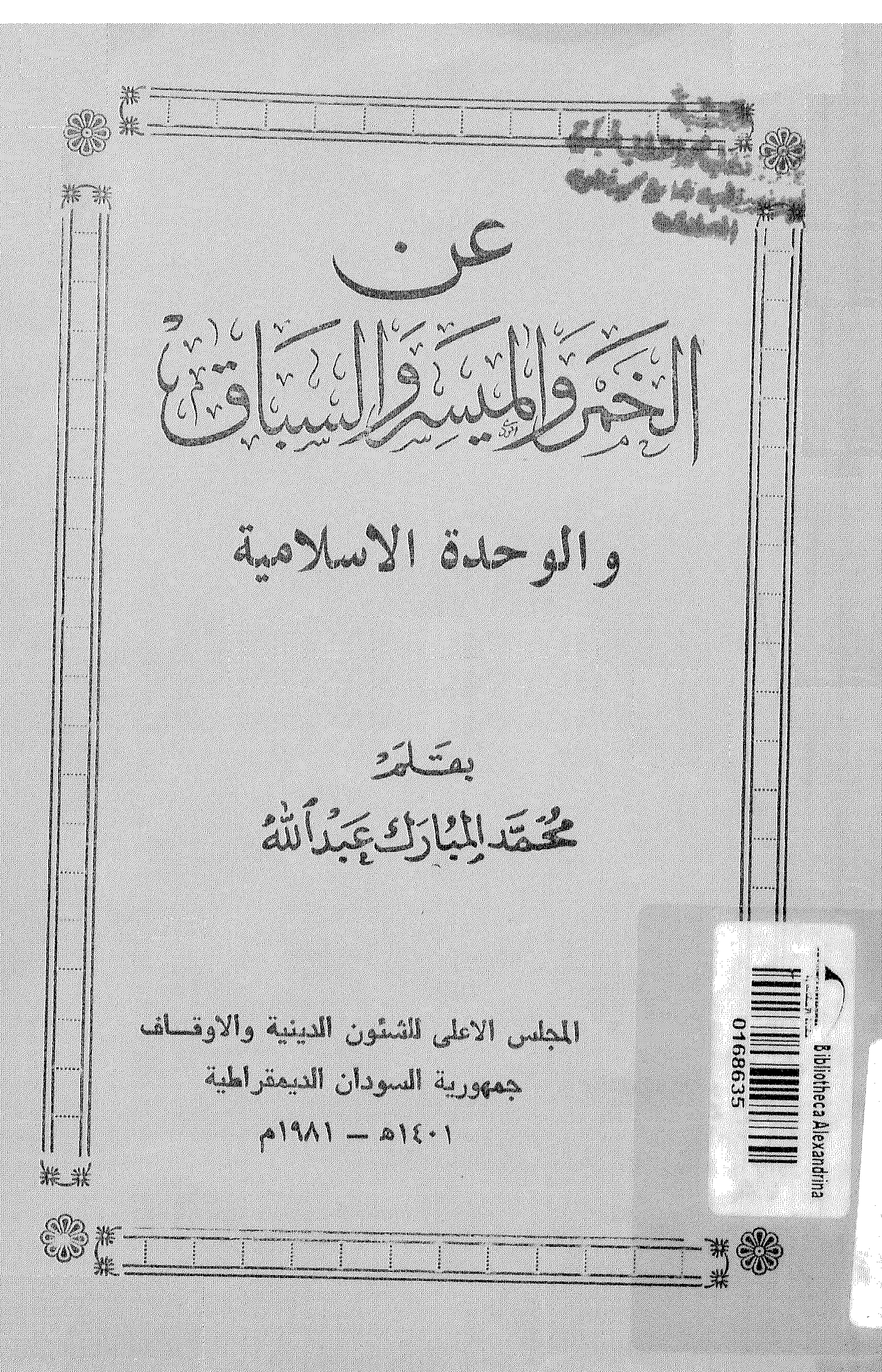


عن الخمر والميسر والسباق

والوحدة الاسلامية

بقلم

محمد المبارك عبد الله

المجلس الاعلى للشئون الدينية والاوقاف
جمهورية السودان الديمقراطية
١٤٠١هـ – ١٩٨١م

Bibliotheca Alexandrina
0168635
29

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اهداء: ٢٠٠١

الدكتور / ... محمد طبارة

٨١٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الخمر والميسر والسباق

والوحدة الاسلامية

بقلم
محمد المبارك عبد الله

المجلس الاعلى للشئون الدينية والاوقاف
جمهورية السودان الديمقراطية
١٤٠١هـ – ١٩٨١م


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

في هذا الكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى هذا الكتاب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع	الصفحه


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على امام الهداة وقدوة المصلحين ، سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين ، وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم فى الاهتداء بهديه والاستنان بسنته الى يوم الدين .

وبعد فهذه رسالة وجيزة فى الحديث عن الخمر والميسر ، والانصاب والازلام والسباق أبعث (١) بها الى مواطنى ومن تبلغه من المسلمين ، تذكيرا بحرمة ما علم تحريمه من الدين بالضرورة من ذلك كالخمر والميسر ، والانصاب والأزلام وتنبيها الى ما هو من قبيلها وما يلحق بها من المخدرات ، واليانصيب ، وسباق الخيل المعروف الان ، وأكل أموال الناس بالباطل بعامة ، وطلب معرفة الغيب الذى أستاثر الله بعلمه بفتح الكتاب أو ضرب الرمل أو قراءة الكف او الفنجان (٢) أو غيرها من الطرق الوهمية التى تظاهر على تقبيحها والتنفير منها العقل والعلم والدين .

ولا تزال مع الأسف الشديد تنتشر بصور متعددة ، وتتفشى فى أثواب مختلفة ، ويستشرى شرها ، ويتفاقم ضررها ، ويتعاظم البلاء بها فيعم الشباب الغاوين ، والكهول الغافلين ، رغم صيحات الدعاة والمرشدين ونذر العقاب المهين ، وإلى الله المشتكى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

« الخمـــر »

معناهــا فى اللغـــة والشـــرع

معناها لغـــة :

الخمر لغة يذكر ويؤنث والخمرة بالتاء إسم لكل شراب مسكر منقول من مصدر خمر الشئ بمعنى ستره وغطاه ، أو من خامره الشئ بمعنى خالطه ، يقال : خامره الداء اذا خالطه : أو من مصدر خمر الشئ اذا تغير عما كان عليه . أو من مصدر خمر العجين ونحوه فاختمر اذا بلغ وقت ادراكه .

(١) كنت قد كتبت أصل الطبعة الأولى بالقاهرة وأرسلته إلى السودان للطبع فظهر فى الطبعة الأولى أخطاء كثيرة مطبعية تداركتها فيها بعد بتصويب طويل .

(٢) اناء صغير من الفخار وغيره معرب (بنكان بالفارسية) .

قال ابن عبد البر : ان جميع هذه المعانى ظاهرة فى هذه الاشربة كلها اى الحاصلة بالتخمير ، وأما المقطرة فيناسبها مخامرة العقل — فيصح اطلاق اسم الخمر لغة على كل مسـكر .

وهذا ما ذهب اليه أشهر علماء اللغة كالجوهرى وأبى نصر القشيرى وابى حنيفة الدينورى وصاحب القاموس وغيرهم ، فهى تسمية شرعية ولغوية عندهم .

معناها شـرعا :

وذهب الكوفيون ، وبعض علماء اللغة كصاحب كتاب العين ، وتبعه ابن سيده فى المخصص الى أن الخمر ما أسكر من عصير العنب .

على ان ابن سيده بعد ان نقل من صاحب العين التخصيص بما يتخذ من عصير العنب عاد فنقل عن أبى حنيفة الدينورى اطلاقها على جميع الاشربة المسكرة . فقال : قال ابو حنيفة : فأما خمور الحبوب فما اتخذ من الحنطة فهو المذر ، وما اتخذ من الشعير فهو الجعة (١) وفى حديث ابى داود والنسائى وغيرهما عن على كرم الله وجهه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم عن الجعة .

البيره فى البلاد الاسلامية

ومن المؤسف حقا انها تباع الان علنا فى أسواق كثير من البلاد الاسلامية مع الكوكا كولا والبيبسى كولا والمياه الغازية ،وما اتخذ (٢) من الذرة السكركة والسفرقة عجمى

وحجة هؤلاء الذين خصوا الخمر بالمسكر من ماء العنب ما رواه النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حرمت الخمر قليلها وكثيرها ، والمسكر من كل شراب فعطف المسكر من كل شراب على الخمر دليل على انها تغايره ، وما رواه البخارى عن عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شئ مع أنه كان بالمدينة أشربة من نبيذ البسر والتمر (٣)فهذا دليل على أنها لا تتناولها . والارجح التعميم ، لأن الصحابة وهم من صميم العرب فهموا من تحريم الخمر تحريم كل مسكر ، ولم يفـ[illegible] بين ما كان من العنب وما كان من غيره .

---

(١) ومن الحنطة ايضا قال فى مادةوجع من اللسان : ذكر الجوهرى فى هذه الترجمة الجعة — يعنى انها من معتل الفاية وقال ابن برى : الجعة لا مها واو من جعوت أى جمعت كأنها سميت بذلك لأنها تجمع الناس على شربها أى تجمعهم وذكرها الأزهرى وصاحب اللسان نفسه فى مادة جعا معتل اللام ترجيحا لهذا ، وتعرف الآن باسم (البيره) كلمة ايطالية ، وفتح الجيم أكثر من كسرها .

(٢) ويعرف فى السودان باسم (المريسة) وفى مصر باسم (البوظة) .

٣) ويعرف فى السودان باسم (الدكاى) والبسر التمر اذا تلون ولم ينضج بعد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والآثار الدالة على ذلك أكثر من أن تحصى منها ما أخرجه أبو داود : نزل تحريم الخمر يوم نزل وهو من خمسة : العنب والتمر (١) والحنطة والشعير والذرة ، والخمر ما خامر العقل، والأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك ، منهاحديث الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي كل مسكر خمر وروى بزيادة : وكل خمر حرام . وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر أنه قال : نزل تحريم الخمر وان بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ، ما فيها من شراب العنب شيء ، .

وروى احمد والبخاري ومسلم في صحيحهما عن أنس قال : كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح وابي بن كعب وسهيل بن بيضاء ونفرا من أصحابه عند أبي طلحة (٢) حتى كاد الشراب يأخذ منهم فأتى آت من المسلمين فقال : اما شعرتم ان الخمر قد حرمت ؟ فقالوا حتى ننظر ونسأل — فقالوا يا أنس اسكب ما بقي في انائك ، فوالله ما عادوا فيها ، وما هي الا التمر والبسر وهي خمرهم يومئذ هذا لفظ احمد . وزاد أنس في رواية اخرى ابا دجانة ومعاذ بن جبل في رهط من الانصار ، .

وفي رواية الصحيحين انه كان يسقيهم الفضيخ ، وهو شراب البسر والتمر يفضخان اى يشدخان وينبذان في الماء فاذا اشتد واختمركان خمرا ، وكان هذا اكثر خمر المدينة كما صرح به انس ، وفي رواية لمسلم عنه : كنت ساقي القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة ، وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادي ، فقال اخرج فانظر ، فخرجت فاذا مناد ينادي : الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت في سكك المدينة فقال أبو طلحة : أخرج فاهرقها ، فهرقها الحديث.

قال القرطبي : الأحاديث الواردة عن أنس وغيره على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين بان الخمر لا يكون الا من العنب ، وما كان من غيره لا يسمى خمرا ولا يتناوله اسم الخمر فهو قول مخالف للغة العربية ، وللسنة الصحيحة والصحابة ، لأنهم لما نزل تحريم الخمر فهموا من الامر بالاجتناب تحريم كل ما يسكر . ولم يفرقوا بين ما

---

(١) يقول الحكمي : لنا خمر وليست خمر كرم ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السماء ذهبن طولا وفات ثمارها أيدي الجناة

(٢) هو زوج أم أنس رضي الله عنهم .

(٣) الشدخ الكسر.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يتخذ من العنب وبين ما يتخذ من غيره بل سووا بينهما ،وحرموا كل ما يسكر نوعه ، ولم يتوقفوا ولم يستفصلوا ، ولم يشكل عليهم من ذلك شئ بل بادروا الى اتلاف ما كان من غير عصير العنب ، وهم من أهل اللسان ، وبلغتهم نزل القرآن فلو كان عندهم تردد لتوقفوا عن الاراقة حتى يستفصلوا ويتحققوا التحريم .

وقد أخرج الامام أحمد فى مسنده عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من الحنطة خمر ، ومن الشعير خمر ،ومن التمر خمر ، ومن الزبيب خمر ، ومن العسل خمر .

وروى أيضا فى الصحيحين وغيرهما انه خطب عمر على المنبر وقال : الا ان الخمر قد حرمت وهى من خمسة: العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير ،والخمر ما خامر العقل وعمر من أهل اللغة اه .

وتوسط بعض المحققين فى هذا الخلاف فقال :ان الخمر حقيقة فى لغة العرب فى التى من ماء العنب اذا صار مسكرا، واذا استعمل فى غيره كان مجازا الا ان الشارع جعله حقيقة فى كل مسكر شابه معناه اللغوى ، فهو فى ذلك حقيقة شرعية ، كالصلاة والصوم والزكاة فى معانيها المعروفة شرعا .

والحق ما قدمنا من اتحاد المعنى لغة وشرعا، وما استدل به مما رواه البخارى عن ابن عمر : لقد حرمت الخمر وما بالمدينة منها شئ مع وجود المسكر من التمر والبسر مؤول حتى لا يتعارض مع ما روى عنه وعن ابيه رضى الله عنهما فيما تقدم .

ثمرة الخلاف

وهذا الخلاف بين علماء اللغة لا يترتب عليه أى خلاف بين الفقهاء فى أن كل مقدار يفضى شربه الى السكر من جميع المسكرات فهو حرام ، وكل ما يترتب عليه هل هو جميعه حرام بالنص أو بعضه حرام بالنص ، وهو المسكر من عصير العنب بعضه حرام بالقياس عليه ، وهو المسكر من غيره لوجود علة التحريم فيه وهى الاسكار؟ وأن مستحل القليل الذى لا يسكر المتخذ من غير عصير العنب لا يكفر عند من قال انه لا يسمى خمرا ،واما المستحل للكثير أو القليل المتخذ من عصير العنب فيكفر بالاجماع فهذه هى ثمرة الخلاف .

ومثل هذه الانواع التى وردت فى الاحاديث والآثار ما اتخذ من البصل والتفاح وغيرهما باى كيفية من الكيفيات ففى صحيح البخارى أن ابن عباس سئل عن الباذق(١) شراب استحدث ايام بنى أمية — وهو من أهل اللغة — فقال سبق محمد صلى الله عليه وسلم الباذق فما اسكر فهو حرام .

اقول : وبهذا الذى أوتى من جوامع الكلم سبق صلى الله عليه وسلم ما اتخذ وما يتخذ من غيره من سائر المسكرات والمفترات مطبوخة ومقطرة وسائلة وجامدة .

(١) بكسر الذال وفتحها ماطبخ من عصير العنب ادنى طبخة فصار شديدا يسكر ، قال ابن الاثير : تعريب باذه بالفارسية ، وهو اسم الخمر عندهم . وقد كثرت أنواع المسكرات الآن واسماؤها كالشمبانيا والجن والعرقى والشرى والروم والويسكى وكثير غير ذلك مما هو أشد فتكا بالعقول والأبدان .

أختلاف العلماء في تحريم القليل الذى لا يسكر

غير أنهم أجمعوا على تحريم القليل و الكثير من عصير العنب ، وعلى وجوب الحد بشربه ، واختلفوا في القليل الذى لا يسكر مما يتخذ من غيره بعد اجماعهم على أن القدر . المسكر حرام من كل الانبذة .

فقال جمهور فقهاء الحجاز وجمهور المحدثين : كثير الأنبذة المسكر وقليلها وان لم يسكر حرام ، وفي شربه الحد فالخمر عندهم ومنهم الأئمة الثلاثة مالك والشافعى وأحمد: هى كل مامن شأنه أن يسكر من جميع المشروبات سواء فى ذلك المتخذ من العنب أو التمر أو العسل أو القمح أو الشعير أو غيرها . وقال فقهاء العراق منهم ابراهيم النخعي من التابعين ، وسفيان الثورى وابن ابى ليلى ، وشريك وابن شبرمة وأبو حنيفة وسائر فقهاء الكوفة واكثر علماء البصرة: ان المحرم من الانبذةالمسكرة ماعدا المتخذ من عصير العنب هو السكر نفسه ، لا العين ولا حد على من لم يتعمد السكر منه،والخمر عند الامام أبى حنيفة هى النيىء من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد ثم سكن وصفا وصار مسكرا، ولم يشترط صاحباه القيدين الأخيرين،وبالغ الامام أبو حنيفة رضى الله عنه فعد احلال القدر الذى لا يسكر من النبيذ من شرائط مذهب أهل السنة والجماعة ، فقال فى بيانها : أن يفضل الشيخين (١) ويحب الختنين،وأن يرى المسح على الخفين،والا يحرم نبيذ (٢) الخمر .

ويظهر أن الامام أبا حنيفة كان يأخذ فى هذا برأى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقد روى أنه كان يرى حل النبيذ، وقدتبع ابن مسعود فى ذلك عامة التابعين من الكوفيين حتى قال شاعرهم :

من ذا يحرم ماء المزن خالطه . فى جوف خابية ماء العناقيد

انى لاكره تشديد الرواة لنا . فيه ويعجبنى قول ابن مسعود

الفسقة والمستهترون والشعراء واستغلال الخلاف .

ولما كان كثير من فقهاء العراق يرى حل النبيذ فقد اشتهر العراقيون بذلك كما اشتهر الحجازيون بحل السماع ، واصبح

---

(١) الشيخان ابوبكر وعمر ، والختنان عثمان وعلى ، لأنهما صهرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والختن الصهر ويقال على كل من كان من قبل المرأة كأبيها أو أخيها .

(٢) ولا تظن ايها القارئ الفاضل أن النبيذ الذى يستحلون شربه هو النبيذ المعروف الآن فهذا مجمع على تحريمه لأنه يسكر ، وانما هو النقوع كما يصنع فى السودان للاطفال والخشاف الذى يصنع للافطار فى رمضان وفى غيرمواالحسوة ، والشربوت كل ذلك قبل أن يحمض ويشتد فيسكر . وصفوة القول أن مايلقى فى الماء أوفى الأناء ويصب عليه الماء ليبل به من تين أو زبيب أو تمر أو غير ذلك حلال ما لم يختمر فاذااختمر حرم لأنه يسكر حينئذ سمى نبيذا ، لان صانعه ينبذه أى يلقى به فى الاناء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المستهترون من الشعراء والادباء يسفسطون بذلك ويتطرفون به : قال بعضهم اباح أهل الحرمين الغناء وحرموا النبيذ ، وأباح أهل العراق النبيذ وحرموا الغناء ،فأتاحوا لنا الفرصة وهيئوا لنا باختلافهم على ذلك الرخصة الى أن يقع الاتفاق ! ! وقال بعضهم :

اباح العراقى النبيذ وشربه ... وقال حراما المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد ... فحلت لنا من بين قوليهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما ... وأشربها لافارق الوازر الوزر

سبب الخلاف

وسبب اختلافهم فى هذا تعارض الآثار التى ظاهرها تعلق الحرمة بالعين لا بالسكر مع القياس المبنى على أن القرآن نص على أن علة التحريم فى الخمر انما هى ايقاع العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهى لا توجد الا فى القدر المسكر الذى يستر العقل لا فيما دونه فوجب أن يكون ذلك القدر هو الحرام الا ما انعقد الاجماع على تحريم قليله وكثيره ، وهو المسكر من عصير العنب .

أدلة الحجازين

واستدل جمهور فقهاء الحجاز والمحدثون بما رواه احمد وابن ماجه والدار قطنى وصححه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم : ماأسكر كثيره فقليله حرام،ومارواه احمد والترمذى وقال :حديث حسن عن عائشة رضى الله عنها قالت قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر حرام، وماأسكر الفرق (١) منه فملء الكف منه حرام، وفى رواية فالحسوة (٢) منه حرام ، وما رواه النسائى والدارقطنى عن سعد ابن ابى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : أنهاكم عن قليل ما أسكر كثيره وفى رواية أخرى أن النبى صلى الله علية وسلم نهى عن قليل ما أسكر كثيره .

قال الحافظ النسائى بعد رواية حديث سعد ومافى معناه : وفى هذا دليل على تحريم المسكر قليله وكثيره ، وليس كما يقول المخادعون لأنفسهم بتحريمهم آخر الشربة وتحليلهم ماتقدمها الذى يشرب فى الفرق قبلها ، ولا خلاف بين أهل العلم أن السكر بكليته لا يحدث عن الشربة الآخرة دون الاولى و الثانية بعدها ، وبالله التوفيق أى أن السكر يكون من ، مجموع مايشرب لا من الشربة التى تعقبها النشوة .

(١) الفرق ويحرك أو التحريك أفصح مكيال كان بالمدينة يسع ستة عشر مدا أو أربعة أرباع .

(٢) الحسوة المرة من حسا المرق اذا شربه شيئا فشيئا وحسا الطائر الماء اخذه بمنقاره وهو مثل فى القلة ومنه يقال : يوم كحسو الطير أى قصير ، ومنه (الحسوة) من أشربة السودان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكم بين الفريقين ومايرجحه الطب

قال بعض المحققين من المتأخرين يبدو أن حجة الحجازيين من طريق السمع أقوى حجة العراقيين من طريق النظر و القياس أظهر .

وأقول : ان تجارب الاطباء الآن فى مختلف أنواع الخمور تؤيد مذهب الحجازيين ، فان مصدر الضرر المشترك بين سائر الخمور هو ما تشتمل عليه من مادة (الكحول) الذى سماه القرآن الغول ومدح خمر الجنة التى بشر بها المؤمنين بسلامتها منه ، فقال تعالى : يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون (١) الايات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ من سورة الصافات وهو ما يهلك الانسان من حيث لا يحس به يقال غاله يغوله غولا ، واغتاله يغتا له اغتيالا اذا أهلكه من حيث لا يدرى ، وهذه المادة السامة الفتاكة لا شك أن القليل منها يؤثر كما أن الكثير منها يؤثر بنسبته (٢) ولا تخلو من الاضرار بحال من الاحوال .

تحقيق مذهب الحنفية فيما تقل فيه نسبة الكحول

وتحقيق مذهب الحنفية الذى يتذرع به بعض من لا اخلاق لهم الى استحلال شرب (البيره) ونحوها مما تقل فيه نسبة الكحول هو ما جاء فى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة : يظن بعض شاربى (البيره) ونحوها أن قليلها حلال فى مذهب الحنفية ، والواقع أن قليلها وكثيرها حرام فى مذهب الحنفية كسائر المذاهب على الصحيح المفتى به بل هى حرام عند الحنفية باجماع آرائهم ، وذلك لأن الخلاف وقع فى ثلاثة أمور : المثلث وهو ما يطبخ من العنب حتى يذهب ثلثاه ويبقى ثلثه ويسكر كثيره لا قليله ويسمى طلاء ، ثانيا نبيذ التمر وهو ما يطبخ طبخا يسيرا ويسكر كثيره لا قليله ، ثالثا ما يؤخذ من الشعير والحنطة ونحوهما مما ذكر اذا أسكر كثيره لا قليله ، فأبو حنيفة وأبو يوسف يقولان : ان الذى يحرم هو كثير هذا لا قليله ، ومحمد يقول : ان كثير هذا وقليله حرام ككثيره .

---

(١) المعين الماء الجارى جريا سهلا ، والمراد من نهر طيب خالص من الشوائب والأكدار والنزف اذهاب الشئ بالتدريج : يقال نزف ماء البئر اذا نزحه شيئا فشيئا ، فكأن شارب الخمر فى الدنيا اناء للعقل ينزح منه العقل ويسلب بسببها مما تتنزه خمر الآخرة أن تكون سببا فيه أو ينشأ عنها قرئ فى القرآن بالبناء للمجهول وبالبناء للفاعل من نزف وأنزف والمراد فى جميع ذلك نفى السكر عن خمر الجنة .

(٢) فلا يقال : ان البيره حلال ، لان نسبة الكحول فى الكأس منها تتراوح بين ٣ - ٨٪ ، وليست كالويسكى الذى نسبة الكحول فى الكأس منه ٥٠٪ ولا كالشرى والشمبانيا اللذين نسبة الكحول فى الكاس من كل منهما ٢٠٪ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقول الائمة الثلاثة وقول محمد هو الصحيح المفتى به فى المذهب ، فمذهب الحنفية هو مذهب محمد حينئذ ، على أنهم اجمعوا على أن القليل الذى لا يسكر اذا كان يؤخذ للهو والتسلية كما يفعل هؤلاء الشاربون فهو حرام كالكثير تماما ولو قطرة واحدة ، (فالبيره) ، وجميع أنواع الخمور محرمة قليلها وكثيرها على الوجه المشروع عند جميع أئمة الدين وجميع المسلمين .

الجصاص والاحتجاج لرأى ابى حنيفة وابى يوسف

وقد أحتج لرأى الامامين : أبى حنيفة وصاحبه ابى يوسف الامام أبو بكر الجصاص من الحنفية فى كتابه « أحكام القرآن » بأن اسم الخمر حقيقة فى النئ المتخذ من العنب منتف عن سائر الاشربة .

واوضح ما ذكره فى ذلك حديث ابى سعيد الخدرى قال : أتى النبى صلى الله عليه وسلم بنشوان ، فقال له : أشربت خمرا ؟ فقال : ما شربتها منذ حرمها الله ورسوله ، قال : فماذا شربت ؟ قال الخليطين قال : فحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم الخليطين ففى ذلك دليل على أن أسم الخمر منتف عن سائر الأشربة الا من النيئ من ماء العنب وبما روى عن على كرم الله وجهه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاشربة عام حجة الوداع فقال : حرام الخمر بعينها والسكر من كل شراب .

وقال ما خلاصته ان هذا الخبر يدل على أن اسم الخمر مخصوص بشراب بعينه دون غيره ، وأن المحرم من سائر الأشربة هوما يحدث عنده السكر ، ولو لا ذلك لما اقتصر منها على السكر دون غيره ، ولما فصل بينها وبين الخمر فى جهة التحريم .:

قال : ويدل أيضا على أن تحريم الخمر حكم مقصور عليها غير متعد الى غيرها قياسا ولا استدلالا اذ علق حكم التحريم بعين الخمر دون معنى فيها سواها ، وذلك ينفى جواز القياس عليها ، لأن كل أصل ساغ القياس عليه فليس الحكم المنصوص عليه مقصورا عليه ، ولا متعلقا به بعينه بل يكون الحكم منصوبا على بعض اوصافه مما هو موجود فى فروعه فيكون الحكم تابعا للوصف جاريا معه فى معلولاته اه .

الاحاديث والآثار والطب تضعف رأى الجصاص

وذلك كله معارض بما تقدم من الأحاديث والآثار الدالة على اطلاق اسم الخمر على ما خامر العقل ، وأن تجارب الاطباء الآن فى مختلف أنواع الخمور ترجح مذهب الحجازيين ، وأن المفتى به الآن فى مذهب الحنفية هو قول الامام محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة الموافق لمذهب الائمة الثلاثة : مالك والشافعي واحمد فى ان ما أسكر كثيره فقليله حرام.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ج ـ التدرج في تحريم الخمر وحكمته :

روى أنه حين نزل بمكة قوله تعالى : ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا (١) ورزقا حسنا ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون الآية ٦٧ من [سورة النحل كان المسلمون يشربونها ، ولما كان فى الآية جمع بين العتاب على اتخاذ السكر والامتنان بنعمة الله فى ثمرات النخيل والأعناب ، وفيها تعريض بقبح تناول السكر حيث وصف مقابله وهو الرزق بالحسن ، ولم يوصف هو بذلك فقد تنبه بعض الصحابة رضى الله عنهم كعمر ومعاذ الى ضرر الخمر فلما قدم الرسول الى المدينة وكان الانصار يشربونها ويلعبون الميسر ذهب عمر ومعاذ فى نفر من الصحابة رضوان الله عليهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : أفتنا يا رسول الله فى الخمر فانها تذهب العقل والمال فنزل قوله تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر ، قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما الآية ٢١٩ من سورة البقرة .

وقد ذهب بعض العلماء الى أن تحريم الخمر والميسر كان بهذه الاية ، وما أتى بعدها كان من قبيل التوكيد ، لأن الله جل شأنه قال : « قل فيهما اثم » وكل ما فيه اثم حرام بدليل قوله تعالى : قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى بغير الحق الآية ٣٣ من سورة الأعراف .

ولكن رأى الجمهور ان التحريم كان بالآية ٩٠ من سورة المائدة : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون وهو الحق أخرج عبد بن حميد وابن جرير عن الربيع انه لما نزلت آية البقرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان ربكم يقدم فى تحريم الخمر ثم نزلت آية النساء فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان ربكم يقدم فى تحريم الخمر ثم نزلت آية المائدة فحرمت الخمر عند ذلك . لان فى آية البقرة اخبارا بان الخمر فيها ضرر من وجه ومنفعة من وجه آخر ، وهذا لايفيد القطع بالتحريم ، ولهذا اجتهد الصحابة فتركها بعضهم ، وأقام على شربها آخرون ظنا منهم ان يتيسر لهم ان ينتفعوا بها مع اجتناب ضررها ، ولأن عمر سأل بعد نزولها أى نزول آية البقرة بيانا شافيا فى الخمرة روى أحمد وابو داود والترمذى وصححه والنسائى وغيرهم انه قال : اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فانها تذهب المال والعقل فنزلت هذه الآية ـ آية البقرة ، فدعى عمر رضى الله عنه فقرئت عليه ، فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ، فنزلت الآية ٤٣ من سورة النساء : يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون

---

(١) السكر ـ الخمر ، والرزق الحسن التمر والزبيب والمربى والخل ، وروى الإزهرى عن ابن عباس الا جه فى ذلك فقال : السكر ماحرم من ثمراتها ، والرزق الحسن ما احل من ثمراتها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فكان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة : ألا لا يقربن الصلاة سكران، فدعى عمر فقرئت عليه .فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا. فنزلت الآية التى فى المائدة فدعى عمر فقرئت عليه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون قال عمر : انتهينا — انتهينا .

ومن الروايات فى أسباب النزول

قال الواحدى نزلت فى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الانصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: افتنا فى الخمر والميسر فانهما مذهبة للعقل ومسلبة للمال —. فأنزل الله تعالى هذه الآية، وفى بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فسألوه عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية : يسألونك عن الخمر فقال قوم :ماحرم علينا فكانوا يشربون الخمر الى أن صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعا اناسا من الصحابة وأتاهم بخمر فشربوا وسكروا وحضرت صلاة المغرب . فقدموا عليا كرم الله تعالى وجهه فقرأ :قل ياأيها الكافرون أعبد ماتعبدون بحذف لاالنافية وعنه كرم الله وجهه أنه قرأ:لا أعبدماتعبدون ونحن نعبد ماتعبدون فأنزل الله تعالى: ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك رجالا من المسلمين فيهم سعد بن ابى وقاص الى اجتماع ،وكان قد شوى لهم رأس بعير— فأكلوا منه وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ثم انهم افتخروا عند ذلك وتناشدوا الاشعار فانشد سعد مافيه هجاء الانصار وفخر لقومه ، فأخذ رجل من الانصار لحى البعير فضرب. به رأس سعد فشجه (١) موضحة، فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه الانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم بين لنا رأيك فى الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى انما الخمر والميسر الى قوله تعالى فهل انتم منتهون، وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام ، فقال عمر رضى الله عنه : انتهينا يارب .

الحكمة فى التدرج

والسبب فى هذا التدرج فى التكليف بترك الخمر ان الناس كانوا مدمنين شربها قد الفوه وصار عادة من عاداتهم ،وتكيفت به أمزجتهم وكان صنعها والاتجار فيها موردى رزق عظيم لبعضهم ، فلو فوجئوا بتحريمها دفعة واحدة لشق عليهم ترك ماألفوه ولا ستثقلوا التكليف به وأوشك أن يخالفه أكثرهم ، ويصرفهم ذلك عن قبول الدعوة، ويحجب عنهم محاسن الاسلام ، فكان من عظيم حكمة الله سبحانه وتعالى ان يبين لهم أضرارها .

---

(١) الموضحة للشجة فى الرأس أو الجبهة أو الخدين التى تكشف العظم فيتضح منها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاجتماعية والدينيةوالصحية، ويقنعهم بفوائد تركها اقناعا . وأيضا النهى عن شرب الخمر نهى عن شئ محبوب ، وتكليف شاق على من الفوه لا تتيسر الاستجابة له الا مع رسوخ الايمان بالله ، والاعتقاد بأنه الرب الحكيم العالم بمصالح عباده الذى لا يشرع لهم الا ما فيه مصلحتهم .

اصالة الأحكام الاعتقادية للاحكام العملية

ولهذه الحكمة تقدم تشريع الاحكام الاعتقادية على تشريع الاحكام العملية تقدم الاصول على الفروع ، والاساس على البناء .

رويات أخرى فى اسباب النزول

وأخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت فى البقرة (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس) شربها قوم لقوله تعالى : (منافع للناس) وتركها قوم لقوله تعالى: (اثم كبير) منهم عثمان بن مظعون . حتى نزلت الآية التى فى النساء: (لاتقربوا الصلاة وانتم سكارى) فتركها قوم وشربها قوم يتركونها بالنهار حين الصلاة ويشربونها بالليل ، حتى نزلت الآية التى فى المائدة : (انما الخمر والميسر) الآية قال عمر : أقرنت بالميسر والانصاب والازلام ؟ بعدا لك وسحقا ! ! فتركها الناس .

ووقع فى صدور أناس من الناس منها ، فجعل قوم يمرون بالراوية من الخمر فتخرق فيمر بها أصحابها فيقولون : قد كفا نكرمك من هذا المصرع .وقالوا: ماحرم علينا شئ أشد من الخمر ، حتى جعل الرجل يلقى صاحبه فيقول : ان فى نفسى شيئا فيقول صاحبه: لعلك تذكر الخمر فيقول: نعم، فيقول : ان فى نفسى ما فى نفسك حتى ذكر ذلك قوم واجتمعوا فيه ، فقالوا : كيف نتكلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد (أى حاضر) وخافوا أن ينزل فيهم (أى قرآن) فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اعدوا له حجة ، فقالوا: أرايت حمزة بن عبدالمطلب ومصعب بن عمير وعبدالله بن جحش أليسوا فى الجنة ؟ قال: بلى قالوا: أليسوا قد مضوا وهم يشربون الخمر ؟ فحرم علينا شئ دخلوا الجنة وهم يشربونه ؟ فقال : قد سمع الله ما قلتم فان شاء أجابكم فأنزل الله تعالى (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون ؟ فقالوا انتهينا ، ونزل فى الذين ذكروا حمزة وأصحابه : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا) الآية ٩٣ من سورة المائدة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ترتيب نزول الآيات ودخلها فى التدرج

كان الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه يرى أن آية النساء نزلت قبلى آية البقرة ، وأن الله تعالى ترك الصحابة الى زمن قوى فيه الدين ورسخ فيه اليقين ، وكثرت الوقائع التى ظهر لهم بها كبير اثم الخمر وعظيم ضررها ، وهو خلاف ما جاء فى أسباب نزول الآيات

روى الامام احمد عن أبى هريرة رضى الله عنهما قال : حرمت الخمر ثلاث مرات ثم ذكر نزول الآيات الثلاث وما كان من شأن الناس عند كل واحدة منهن ، وقال فى آية النساء : ثم انزل الله تعالى آية اغلظ منها . أى من آية البقرة ، وقال مثل ذلك فى آية المائدة .وبيان ذلك أن الاولى تحريم ظنى ، والثانية تحريم قطعى فى معظم الاوقات ، والثالثة قطعى مستغرق لكل زمن .

ولعل عذره فى هذه المخالفة كثرة الخلاف فى اسباب نزول كل آية ، وتاريخ تحريم الخمر ، وتواريخ نزولها ، وأيها أغلظ (١) مع رأيه أن آية البقرة أغلظ .

روايات وقصص تفسر آية « ليس على الذين آمنوا »

ورد فى سبب نزول هذه الآية ان بعض الصحابة استشكلوا عند نزول الآية الحاسمة فى تحريم الخمر بمصير من مات من المسلمين الذين كانوا يشربونها ، ويلعبون الميسر ، ولا سيما من شهد منهم غزوتى بدر وأحد كحمزة بن عبد المطلب ، ومصعب ابن عمير ، وعبدالله بن جحش فكانت جوابا لهم ومعناها : ليس على الذين آمنوا وعملوا الأعمال الصالحة من الأحياء والاموات

(١) فقد جعل بعض المفسرين – كما فى تفسير القرطبى – آية انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة من آيتى المائدة قبل آية انما الخمر والميسر ، لأنها دونها فى الغلظ مع انها بعدها فى ترتيب المصحف ، ومنهم من أخرج آية النحل من مراتب التدرج ، لا ن السكر الخل أو عصير حلو ، وقيل حرمت الخمر بعد غزوة الا حزاب سنة أربع ومال اليه البخارى ، وقيل فى غزوة بنى النضير سنة أربع أيضا ، وقيل فى شوال من سنة خمس بعد غزوة أحد بسنة كاملة وقبل عام الحديبية بسنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاموات اثم ومواخذه فيما شربوا من الخمر او لعبوا من الميسر قبل تحريمهما اذا ما — اتقوا ما أدركوا تحريمه وآمنوا بما أنزل من العقائد والاحكام وقاموا بالاعمال الصالحات التى شرعت بالفعل ثم اتقوا ماحرم عليهم بعد ذلك عند العلم به ، وآمنو بما نزل من الاحكام ثم استمروا على التقوى وأحسنوا أداء صالح الاعمال.فأتوا بها على الوجه الأكمل ان الله يحب. المحسنين فيحفظهم من كل سوء ويحسن جزاءهم ، .

ولا يصح بحال من الاحوال مازعمه من اشتبه عليه المراد بالآية ، ومن تعلقوا بذلك من الجهلة والفسقة من أنه تعالى لما بين فى الخمر أنها محرمة عند ما تكون وسيلة من وسائل الشيطان الى ايقاع العداوة والبغضاء و الصد عن ذكر الله وعن الصلاة بين فى هذه الآية أنه لاجناح على من طعمها اذا لم يحصل منه شيء من تلك المفاسد بل حصل منه انواع المصالح من الطاعة والتقوى والاحسان للاعمال وللخلق ، فهذا قول باطل مردود تناقل المفسرون الامام الرازى وغيره اجماع كل الامة على بطلانه ورده اذ لا يعقل أن يكون . معناها اباحة شرب الخمر بعد البت فى تحريمها والحسم بتوكيد ذلك لأصحاب . رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم خير الذين اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا . وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا بالبيان الشافى الذى لايدع مجالا للشبه حتى قالوا انتهينا انتهينا .

ولو صح أن يكون معناها ما زعموا لكان ذلك نسخاً لتحريم شرب الخمر متصلا —. بتحريمها المؤكد او تخصيصا لتحريمها بغير أهل التقوى الكاملة من المؤمنين الصاحين . ولو كان ذلك لحلت لأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فلم ينتهوا عن شربها ولم ينقل الينا شيء من ذلك بل انتهوا وأخذوا يتابعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحدون شاربها ويغلظون فى ذمها

أحداث تزيل الالتباس وتعين المراد بالآية

وهذه بعض الاحداث .والقضايا التى وقعت بينهم وحكموا فيها لاتدع مجالا للشك فى أن تأويل الآية على هذا المعنى خطأ : روى الدارقطنى عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الشراب كانوا يضربون فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأيدى والنعال والعصى حتى توفى رسول الله عليه وسلم فكانوا فى خلافة . ابى بكر أكثر منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبوبكر يجلدهم أربعين حتى توفى ، ثم كان عمر من بعده يجلدهم كذلك اربعين حتى اتى برجل من المهاجرين الاولين وقد شرب فامر به ان يجلد — فقال : لم تجلدنى ؟ بينى وبينك كتاب الله ! ! فقال عمر : وفى أى كتاب الله تجد ألا أجلدك ؟ فقال له : أن الله تعالى يقول فى كتابه : ليس على الذين آمنو وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية فأنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا واحسنوا ، شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها ، فقال عمر : ألاتردون عليه ما يقول ؟.

فقال ابن عباس : ان هذه الآيات انزلت عذرا لمن غبر وحجة على الناس ، لان الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر الآية ثم قرأ حتى انفذ الآية الأخرى ، فان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، الآية فان الله قد نهاه أن يشرب الخمر ، فقال عمر : صدقت ماذا ترون ؟ فقال على رضى الله عنه : انه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى (١) واذا هذى، افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة ، فأمر به عمر فجلد ثمانين جلدة .

وذكر الحميدى عن ابى بكر البرقانى (٢) عن ابن عباس ، وروى البخارى نحوه قال : لما قدم الجارود من البحرين قال : يا أمير المؤمنين ان قدامة بن مظعون قد شرب مسكرا ، وانى اذا رايت حدا من حدود الله حق على ان أرفعه اليك ، فقال عمر : من يشهد على ما تقول ؟ فقال : ابو هريرة فدعا عمر أبا هريرة فقال : علام تشهد؟ قال : لم أره حين شرب ، ورأيته سكران يقئ فقال عمر : لقد تنطعت (٣) فى الشهادة ثم كتب عمر الى قدامة وهو بالبحرين واليا عليها فى عهده (٤) يأمره بالقدوم عليه ، فلما قدم قدامة والجارود بالمدينة كلم الجارود عمر : فقال : أقم على هذا كتاب الله ، فقال عمر للجارود : أشهيد أنت أم خصم ؟ فقال الجارود : أنا شهيد ، قال : قد كنت أديت الشهادة ثم سكت الجارود ثم قال لعمر : انى أنشدك الله : فقال عمر : أما والله لتملكن لسانك أو لاسوءنك ! فقال الجارود : اما والله ما ذلك بالحق أن يشرب ابن عمك وتسوءنى ! فتوعده عمر ، فقال أبو هريرة وهو جالس : يا أمير المؤمنين ان كنت فى شك من شهادتنا فسل بنت الوليد امراة ابن مظعون ، فأرسل عمر الى هند ينشدها بالله : فأقامت هند على زوجها الشهادة ! فقال عمر : ياقدامة انى جالدك ، فقال قدامة والله لو شربت كما يقولون ما كان لك ان تجلدنى ياعمر ! قال : ولم يا قدامة ؟ قال : لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الآية الى المحسنين ، فقال عمر : انك أخطأت التأويل ياقدامة ، اذا اتقيت الله

---

(١) هذى يهذى هذيا وهذيانا وهذا هذوا يهذو تكلم بكلام غير معقول لمرض أو غيره .

(٢) فى الانساب للسمعانى أنه بفتح الباء و سكون القاف نسبة إلى قرية كانت بنواحى خوارزم وخربت .

(٣) تنطع فى الكلام تعمق وتأنق وغالى .

(٤) وقدامة خال عبدالله بن عمر وحفصة أم المؤمنين ، ومن أهل بدر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اجتنبت ما حرم الله ، ثم اقبل عمر على القوم فقال : ماترون فى جلد قدامة ؟ فقال القوم لانرى أن تجلده مادام وجعا (١) ، فسكت عمر عن جلده اياما ثم اصبح يوما وقد عزم على جلده فقال لأصحابه : ماترون فى جلد قدامة ؟فقال القوم: لانرى أن تجلده مادام وجعا ، فقال عمر : انه والله لأن يلقى الله وهو تحت السوط ، أحب الى من أن القى الله وهو فى عنقى ! ! والله لا جلدنه ، ائتونى بسوط ، فجاءه مولاه أسلم بسوط رقيق صغير فأخذه عمر فمسحه بيده ثم قال لأسلم: أخذتك دقرارة (٢) أهلك ائتونى بسوط غير هذا قال فجاءه أسلم بسوط تام ، فأمر عمر بقدامة فجلده وعزله من ولاية البحرين .

القتل عند الاصرار على الاستحلال

بل ذكر الكيا الطبرى (٣) أنه روى عن على كرم الله وجهه أن قوما شربوا بالشام ، وقالوا : هى لنا حلال و تأولوا هذه الآية فأجمع على وعمر على أن يستتابوا فأن تابوا والا قتلوا .

وفى صحيح مسلم أن عثمان رضى الله عنه أتى بالوليد بن عقبة وقد صلى الصبح ركعتين وقال: أزيدكم ؟! فشهد عليه حمران مولى عثمان انه شرب الخمرة وشهد آخر انه رآه يتقيؤها فقال عثمان : انه لم يتقيأها حتى شربها ، وأمر بجلده فجلده عبد الله بن جعفر ، وعلى يعد حتى بلغ أربعين فقال : أمسك ثم قال : جلد النبى صلى الله عليه وسلم وأبوبكر اربعين وعمر ثمانين وكل سنة وهذا احب الى .

---

(١) مريضا .

(٢) الدقرارة وتجمع على دقارير ، وهى الاباطيل و عادات السوء يعيب عمر وهو غاضب اسلم مولاه رضى الله عنهما أن تأخذه رأفة بقدامة فى دين الله ، فيعدل عن الحق إلى الباطل عند تنفيذ حد من حدود الله ، ويقدم له سوطا لا يكفى فى عقوبة الشارب الرادعة جريا على طبيعة قومه وكان بجاويا .

(٣) الكيا بكسر الكاف وفتح الياء وبعدها الف معناه فى اللغة العجمية الكبير القدر ، والمقدم بين الناس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا محاباة في الحدود . . ولكنها لا تقام في دار الحرب

وقد كان من هؤلاء المدمنين أبو محجن الثقفي رضى الله عنه ، ولما أبلى في واقعة القادسية ما أبلى ، وكان نصر المسلمين على يده وترك سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه اقامة الحد عليه ، وكان قد اعتقله لسكر ، تاب الى الله تعالى وعلل توبته في بعض الروايات بأنه كان يشرب عالما أن العقاب الشرعى يطهره ، واذ حابوه به كما ظن — تاب الى الله تعالى خوفا من عقاب الآخرة ، ولم يترك سعد عقابه محاباة كما ظن ، لانه لا محاباة ولا شفاعة في حدود الله بل لان الحدود لا تقام في حال الغزو ، ولا في دار الحرب روى انه صلى الله عليه وسلم قال : لا تقام الحدود في دار الحرب (١) كما ورد النهى عن اقامة الحد في الغزو .

قال ابن العربي يعلق على هذه الاحداث في أحكام القرآن : فهذا يدلك على تأويل الآية ، وذكر فيه عن ابن عباس في حديث الدار قطني ، وعمر في حديث اليرقاني وهو صحيح ، وبسطه انه لو كان من شرب الخمر واتقى الله في غيره لا يحد على الخمر ماحد ، فكان هذا من أفسد التأويل ، وقد خفى على قدامة وعرفه من وفقه الله كعمر وابن عباس اه .

---

(١) واستدل بذلك الحنفية الذين يرون هذا ، كما استدلوا بقصة أبي محجن الثقفي مع سعد بن ابى وقاص بالقادسية حين أتى به وقد شرب الخمر فامر به إلى القيد فلما التقى الجيشان قال ابو محجن ياسف على الا يكون طليقا يجاهد في سبيل الله ويعاهد الله الا يعاود الخمر بعد النصر :—

كفى حزنا ان تطعن الخيل بالقنا   وأترك مشدودا على وثاقيا
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت   مصاريع من دونى تصم المناديا
فلله درى يوم اترك موثقـــا   وتذهـــل عنى اسرتى وزجاليا
حبست عن الحرب العوانوقدبدت   واعمال غيرى يوم ذاك العواليا
هلم ســلا حى لا ابــالك اننى   أرى الحرب لا تزداد إلا تماديا
ولله عهـــد لا أخيس بعهــده   لئن فـــرجت الا ازور الحوانيا
فان مت كانت حاجة قد قضيتها   وخلفت سعد اوحده والأمانيــا

ثم قال لزوجة سعد : اطلقينى ، ولك والله على ان سلمت أن ارجع حتى اضع رجلى في القيد ، وان قتلت استرحتم منى فحلته ، فوثب على فرس لسعد يقال لها البلقاء ثم اخذ رمحا ثم خرج فجعل لا يحمل على ناحية من العدو إلا هزمهم ، وجعل الناس يقولون هذا ملك لمايرون من صنعه وجعل سعد وهو يشرف على المعركة يقول : الصبر صبر البلقاء ، والظفر ظفر ابى محجن وابو محجن في القيد ؛ لأنه لا يعلم بأمر فكاكه ، فلما هزم العدو رجع ابومحجن حتى وضع رجليه في القيد كما وعد فاخبرت زوجة سعد سعدا بما كان من امره فقال سعد رضى الله عنه : لا والله لا اضرب اليوم رجلا أبلى المسلمين ماأبلا هم ! فخلا سبيله ، فقالابومحجن : قد كنت اشربها اذ يقام على الحد فاطهر منها فاما اذ بهرجتنى اهدرتنى باسقاط الحد عنى «هكذافسر صاحباللسان والقاموس بهرحتنى بأهدر تي باسقاط الحد» وفسر بعض اللغويين البهرجة باسقاط التبعة في عمل ما فالمعنى فاما اذا سقطت عني تبعة شرب الخمر فوالله لا اشربها ابدا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اضرار الخمر الدينية والصحية والاجتماعية :

من عناية الاسلام البالغة بالنهى عن شرب الخمر ، وحرصه على الانتهاء عنه النص فى القرآن الكريم على قبحها وعظم أوزارها وكثرة اضرارها فى البدن والنفس والعقل والمال ، والروابط الاجتماعية .

عرض الله تعالى بقبحها فى آية النحل فقال عز من قائل : ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ، ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون الآية ٦٧ .

وأشار إلى ضررها بالبدن والنفس والعقل فوصفها جلت حكمته وعظمت رحمته فى آية البقرة بأن فيها اثما كبيراً ، وأن اثمها اكبر من نفعها ، وفى آية المائدة إلى أنها رجس أى شئ نجس قذر لضررها البالغ (١) .

آراء العلماء والاطباء فى ذلك قديماً وحديثاً

وقد ذكر العلماء والاطباء قديماوحديثاً من اضرار الخمرفى الجسم والقلب والكبد والكلى ، وفى الدم والدورةالدموية ، وفى الجهاز العصبى ، وأعضاء التناسل ، وفى الأجنة وفى الجهاز الهضمى والجهاز التنفسى ، وفى النفس والعقل والروح الشئ الكثير ونحن نكتفى بأن ننقل مجمل ذلك ونحيل على الأطباء والمختصين لمعرفة تفصيله (٢) .

فهى تفسد المعدة وتمددها ، لأنها ترشح العصارة الهاضمة فيغلظ نسيجها وتضعف حركتها وتنتهى بالسكير إلى الاقهاء وهو فقد شهوة الطعام ، وتسبب التهاب الكلى ، وتمدد الكبد والتهابه وتحوق الدورة الدموية ، لانها لاتتحول إلى دم كسائر الأغذية فتزاحم الدم فى مجاريه ، وقد توقف الدورة الدموية أحياناً فيموت السكير فجأة ، وتسبب التهاب الجهاز العصبى بما فى ذلك عصب البصر .

---

(١) الرجس بالكسر ويحرك وبفتح الراء وكسر الجيم وأصله من الرجس وهو شدة صوت الرعد ، وهدير البعير فسمى العمل الشديد فى القبح رجسا ، وفرق ابن دريد بين الرجس والرجز والركس فجعل الرجس الشر والرجز العذاب ، والركس القذارة والنتن .

(٢) وفى كتاب الخمر بين الطب والفقه للدكتور محمد على الباز وفاء بما عرفه الأطباء من اضرارها حتى الآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واذا اصيب السكير بمرض ميكروبى كالالتهاب الرئوى وكثيراً ما يصاب به كان الامل فى نجاته ضعيفا جداً ، لان فعل كرات الدم البيضاء يكون على أقل ما يمكن ، وربما تسبب من ذلك غرغرينة فى الرئة فيموت المريض حالا . وتؤدى الى ضعف النسل والى انقطاعه فولد السكير يكون ضعيفا وحفيده يكون أشد ضعفا وأقل عقلا وهكذا يسرى ضعفه الى أولاده طبقة بعد طبقة حتى ينقطع النسل ، ولا سيما اذا سار الابناء على سنة الآباء كما هو الغالب فيهم .

وتؤثر فى العقل والنفس لا بفساد الادراك والتصور عند السكير فحسب بل تضعف نفس القوة العاقلة ، وكثيرا ما ينتهى ذلك الضعف بالجنون ، وقد اشتهر ان بعض الاطباء الاوربيين قال : اقفلوا نصف الحانات اضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبيمارستانات والملاجئ والسجون .

وقال العلامة الانجليزى المشهور بنتام فى كتابه أصول الشرائع الذى ترجمه أحمد فتحى باشا زغلول تحت عنوان (الجرائم الشخصية) : ان النبيذ فى الاقاليم الشمالية يجعل الانسان كالابله ، وفى الاقاليم الجنوبية يصيره كالمجنون ففى الحالة الاولى يكتفى بالمعاقبة على السكر كفعل وحشى ، وفى الحالة الثانية يجب أن يمنع بطرق أشد ، وقد حرمت ديانة محمد صلى الله عليه وسلم جميع المشروبات المسكرة وهذه من محاسنها اهـ.

الخمر وأمن الدولة وأسرارها وسياستها ومصالحها العسكرية

وعلى الخمر يعتمد الجواسيس فى استخراج الأسرار التى قد يترتب عليها أعظم الأضرار من الرجال المسئولين اذا كانت تتعلق بالحكومة وسياسة الدولة ومصالحها العسكرية

فلا يصح ان يكون السكير اميناً على سر من اسرار الدولة ، ولاأن يتولى منصباً ذا خطر من مناصبها ، ولا أن يعتمد عليه فى احسان شئ أو يوثق به فى الوفاء بشئ ، ولا ينوب عن الامة أو يتحدث بأسمها أو يمثلها فى أمر من الامور ، لضعف عقله ونفسه .

ومن اضرارها هو ان السكران على الناس وصيروتها ضحوكة حتى للصبيان ، لفقدانه السيطرة على جوارحه والتوازن فى حركاته وسكناته واعماله ، وعدم ضبطه لأفكاره وأقواله : روى ان ابن ابى الدنيا مر بسكران وهو يبول فى يديه ويمسح ببوله وجهه كالذى يتوضأ ، ويقول : الحمدلله الذى جعل الاسلام نورا والماء طهوراً ! ! وعرض بعضهم شرب الخمر على بعض فصحاء المجانين فقال له المجنون : انت تشربها لتكون مثلى وانا اشربها لا كون مثل من ؟ ! .

العقلاء و المجربون واضرار الخمر

وقد ادرك العقلاء حتى فى الجاهلية شيئاً من هذه الاضرار النفسية والعقلية والاجتماعية قيل للعباس بن مرداس السلمى فى الجاهلية : ألا تشرب الخمر فانها تزيد فى حرارتك ؟ فقال : ماأنا بآخذ جهلى بيدى فادخاه فى جوفى ، ولا ارضى أن اصبح سيد القوم وأمسى سفيههم .

كما ادركها عن تجربة الشعراء المفتونون بالخمر ، واعترفوا بانها من الادواء غير انهم عرفوا الداء ولم يوفقوا إلى تناول الدواء الناجع فهذا ابونواس يقول :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء وداونى بالتى كانت هى الداء

ويقول الأعشى :

وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها

اضرار الخمر الاجتماعية

أما اضرار الخمر الاجتماعية والدينية فقد صرح بها القرآن الكريم ، قال تعالى فى آية البقرة على الاجمال : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الآية ، وقال تعالى فى آية النساء : يا أيها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ، وقال تعالى فى آية المائدة : انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، وقد تقدم أمثلة لذلك مما وقع لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم الهداة الأبرار الذين استعاذوا بالله من شربها واضرارها ومفاسدها واستغاثوا برسول الله يطلبون تحريمها .

بين حمزة وعلى من جرائر الخمر قبل التحريم

وفى الصحيحين من حديث ما وقع بينهم حادث اعتداء على مال كان طرفاه حمزة ابن عبدالمطلب سيد الشهداء ، وابن اخيه على بن ابى طالب فارس عدنان ، وتدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد ادم للحكم فيه ،ولو لا حلمه وحكمته ، ومكانة حمزة وبلاؤه فى نصرة الاسلام ، وأدب على وفضله وصبره على عمه لما وقف هذا الحادث عند الحد الذى وقف عنده .

وخلاصة هذا الحادث انه كان لعلى (١) شارفان أراد ان يجمع عليهما الاذخر (٢) مع صائغ يهودى ويبيعه للصاغة ليستعين بثمنه على وليمة فاطمة رضى الله عنها عند ارادة البناء بها ، وكان عمه حمزة يشرب الخمر مع بعض الانصار ومعه قينة تغنيه — فانشدت شعرا حثته به على نحر الناقتين ، واخذ أطايبهما ليأكل منها الشرب ،فثار حمزة وجب أستمتهما وبقر خواصرهما ، وأخذ من أكبادهما ، فلما رأى على ذلك تألم ولم يملك عينيه ، وشكا حمزة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فدخل النبى على حمزة — ومعه على وزيد بن حارثة مغضبا من ذلك على حمزة وطفق يلومه ، وكان حمزة ثملا قد احمرت عيناه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له ولمن معه : وهل أنتم الاعبيد لأبى؟! فلما علم النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان سكران رجع القهقرى وخرج هو ومن معه

---

(١) تثنية شارف وهى الناقة المسنة .

(٢) الاذخر نبات طيب الرائحة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تشديد النكير في السنة على الشارب :

ومن أخطر أضرارها أنها باذهابها العقل تغرى بجميع الجرائم من قتل ، وسرقة ، وزنى وقذف وغيرها ، ولهذا سميت ام الخبائث : روى الطبرانى فى الاوسط من حديث عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : الخمر ام الخبائث ، وروى فى الكبير عنه انه صلى الله عليه وسلم قال : الخمر ام الفوحش واكبر الكبائر ، ومن شرب الخمر ترك الصلاة ، ووقع على امه وخالته وعمته .

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روى أن قيس بن عاصم المنقرى كان شرابا للخمر فى الجاهلية فغمز وهو سكران عكنة (٢) ابنته ، وكاد ان يقع عليها وسب ابويه فلما افاق أخبر بذلك فحرمها على نفسه .

شرب الخمر والايمان

واشتد النكير فى السنة على شاربها حتى وصف بعدم الايمان ، وعلى كل من يكون له أدنى صلة بتهيئة شربها والاعانة عليه — روى احمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى عن ابى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن . وفى رواية البخارى تقديم الخمر على السرقة

معنى الحديث

وقد اختلف العلماء فى معنى الحديث فقال بعضهم : المراد من يفعل شيئا من الزنى والسرقة وشرب الخمر مستحلا لذلك ، وقيل المراد نفى الايمان الكامل عن الزانى والسارق والشارب حين تلبسه بالفعل ، وقيل هو خبر بمعنى النهى أى يجب الا يفعل المؤمن ذلك . وقد حقق الامام الغزالى فى كتاب التوبة من احياء علوم الدين ان المراد بهذا الحديث ان مرتكب هذه الكبائر لا يكون حال ملابسته وارتكابه شيئا منها متصفا بالايمان الاذعانى (٢) بحرمة ذلك ، وكونه من أسباب سخط الله وموجبات عقابه ، لأن هذا الايمان أى الاذعانى بحرمة تلك الاشياء — يستلزم اجتناب العصيان .

---

(١) العكنة بالضم ماانطوى وتثنى من لحم البطن سمنا ، وغمزها نوع من مقدمات الجماع ، ولعلها هى التى ردت يده ! .

(٢) الاذعان الخضوع ، والانقياد والاسراع إلى الطاعة ، والقطع بالعقوبة على العصيان .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملعونون فى الخمر

وروى احمد وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أتاني جبريل فقال : يا محمد ان الله لعن الخمر ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وبائعها ، ومبتاعها ، وساقيها ، ومسقاها ، وروى الترمذى وابن ماجه من حديث أنس لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر عشرة : عاصرها ، ومعتصرها ، وشاربها وحاملها ، والمحمولة اليه وساقيها ، وبائعها ، وآكل ثمنها والمشترى لها ، والمشتراة له

عقوبة الشارب فى الدنيا

ولم يقف الزجر وتشديد النكير عند هذا الحد بل جاء فى السنة المطهرة عقوبة رادعة على الشرب ، ففى أحاديث الصحيحين انه كان يوتى بالشارب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيضرب بالايدى والجريد والنعال ، وفى حديث أنس عند أحمد ومسلم وأبى داود و الترمذى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو اربعين .

واختار أبو بكر أن يجلد الشارب أربعين ، لان أكثر ما وقع بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم كان اربعين .

وأختار عمر ان يجلد ثمانين موافقة لعلى فى اجتهاده بتشبيه الشارب بالقاذف ، روى الدار قطنى أن عليا كرم الله وجهه قال : اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة .

الاجماع على عقوبة الخمر والخلاف فى المقدار والنوع

وعلى الالتزام بالعقوبة جميع مذاهب المسلمين الا انهم اختلفوا أهذه العقوبة حد ام تعزير ؟ والذين قالوا : انها حد اختلفوا فى مقدار الحد أربعون هو أم ثمانون ؟

فمذهب الامامين : مالك وأبى حنيفة وهو رواية عن الامام احمد رضى الله عنهم أنه ثمانون ، واستدلوا بأن ذلك هو ما استقر عليه عمل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهى اليه إجماعهم .

ومذهب الامام الشافعى رضى الله عنه أنه اربعون الا ان الامام لو اراد أن يجلدهم ثمانين جاز له ذلك ، لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلد بين يديه اربعون ، وفعل أبو بكر رضى الله عنه ذلك اقتداء به ، وزاد عمر رضى الله عنه فجلد ثمانين لما كثر شرب الخمر .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اما قتل الشارب فى المرة الرابعة اذا عاود السكر فمنسوخ بحديث قبيصة بن ذويب الذى رواه عنه أبو داود ، وذكره الترمذى بمعناه عن الزهرى عن قبيصة بن ذويب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من شرب الخمر فاجلدوه ، فان عاد فاجلدوه ، فان عاد فى المرة الثالثة أو الرابعة فأقتلوه ، فأتى برجل قد شرب فجلده ثم أتى به فجلده ثم أتى به فجلده ثم اتى به فجلده ورفع القتل ، وفى بعض الروايات فخلى سبيله .

وحكى ابن المنذر والطبرى وغيرهم عن طائفةمن أهل العلم أن الخمر لاحد فيها وانما فيهاالتعزير ، واستدلوا بالاحاديث المروية عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن الصحابة من الضرب بالجريد والنعال والأردية ، والسياط تارة اربعين واخرى اكثر ، كما استدلوا بما اخرجه عبدالرزاق عن الزهرى من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفرض فى الخمر حدا ، وانما كان يامر من حضر أن يضربوه بايديهم ونعالهم حتى يقول لهم : ارفعوا .

فلسفة باطلة ومغالطة مفضوحة

ومن هذا تعلم أنه لاقيمة للتغلسف ، والمغالطة بان منع السلطات للخمر يزيد من تعلق الناس بها ، ويدفعهم إلى ان يشربوا فى الخفاء أنواعاً غير صحية ، وخير من هذا ان تراقب سوقها ليعرض للناس النوع الصحى ! فان الخمر ليس فيها نوع صحى بل كل أنواعها ضار كما عرفت طرفاً من ذلك ، وسياتى له مزيد ان شاء الله ، وان الله ليزع بالسلطان مالايزع بالقرآن .

فهذه افكار كان ينفثها المستعمرون تشجيعا على شرب الخمر للقضاء على الوعى فى الشعوب المستعمرة حتى يدوم لهم الاستعمار والسيطرة ، وكانت تلك سياسة متبعة لفرنسا وايطاليا فى مستعمراتهما بالمغرب والمشرق كما كانت لانجلترا .

كما كانوا يشجعون الدعارة العلنية بأن البغاء السرى ينشر الامراض السرية ، وخير منه البغاء العلنى الذى تشرف عليه الحكومات فتنظمه وتجعله صحيا بالكشف على المومسات ! لافساد شباب هذه الشعوب ، والقضاء على الحياء والمروءة وسائر القيم الدينية والانسانية فيها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أسباب ولع الناس بالخمر مع ما فيها من المضار : —

ان الخمر مع ما فيها من الضرر البالغ ، وسوء العاقبة الحتم فانها من أشد الكبائر انتشاراً بين مختلف الأمم قديماً وحديثاً ، ومن أحبها اليهم ، لأن الشيطان يزينها لهم بمفاتن عديدة من لذة الطرب العاجلة ، والنفس مولعة بحب العاجل ، ومن الإذهال عن المكدرات ، وتسرية الهموم والأحزان الى أمد قصير بما تحدثه من نشاط حيوى عارض ، وتقوية للطبيعة موقتة على حساب اجهاد أجهزة الجسم وأعضائه الرئيسية لا تلبث أن تزول

على أن رد الفعل الذى يعقب ذلك فيضاعف الهموم والأحزان ، ويزيد فى الكآبة لا يجعل لهذه المفاتن قيمة تذكر الا عند من يتقاصر نظرهم عن ادراك العواقب أو تسوء حالتهم العقلية والنفسية فيهملون العملية الحسابية التى يجب أن يقوم بها العاقل فى منافع ومضار ما يقدم عليه من الأفعال التى يختلط فيها الشر بالخير ،

معادلة لابد للعاقل منها

وقد هدى الله جلت حكمته الى مثل هذه الموازنة بقوله تعالى فى الخمر والميسر : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما أثم كبير ومنافع للناس ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما ورحم الله الشاعر الذى أدرك رد الفعل هذا أخيراً فقال :

يقولون ان الهم بالراح ينجلى فما بالها زادت على همومى
ألا رديا خمار مالى وصحتى وماضى أيامى فأنت غريمى

ولهذا يرى بعض الأطباء أن ادمان الخمر نتيجة لجنون سابق ، وليس الجنون نتيجة الإدمان ، ويمثل لذلك بالرجل يصاب بالمالخوليا أو الجنون والأسف الشديد أو بالهستريا أو الأرق يشرب كثيراً لكى يسكر فينسى الحالة التى تنتابه — ولكن هيهات أن تنفعه هذه المضاعفات .

حذار من قرناء السوء

وقد ثبت بالبحث أن أكثر من يبتلون بشرب الخمر لا يقدمون على ذلك بادئ ذى بدء الا تقليداً لقرناء السوء ومجاراة لهم ، وباغراء منهم ، ولا يشربونها فى أول الأمر الا كرها لبشاعة طعمها ، واشتهار أنها عمل منكر ضار ثم يصير الشرب عادة لهم يعسر عليهم تركه ، وقد يخدعون أنفسهم أو يخدعون بأنه لا ضرر للخمر اذا شربها الإنسان باعتدال ولم يسرف ، وأن شرب القليل منها ان لم ينفع فهو لا يضر ، ولو علموا ان شرب القليل يجر الى شرب الكثير بعد ان تتأثر الأعصاب بالشرب مرة بعد أخرى ، ولا تحصل النشوة الا بالإسراف لم يتورطوا ، ولم يقعوا فريسة لهذا الداء الوبيل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

منافع الخمر فى الجاهلية أوهام ومضار

واما ماكان يظنه الناس فى الجاهلية منافع ومزايا لشرب الخمر ويفتخرون بالتحلى به من شعور بالعزة ، واثارة الحمية والشجاعة ، كقول بعضهم :—

ونشربها فتتركنا ملوكا   وأسدا ما ينهنها اللقاء

ومن أنها تذهب البخل والشح ، وتجعل البخيل سخياً كريماً كقول عمرو بن كلثوم فى معلقته :—

ترى الرجل الشحيح اذا امرت   عليه لما له فيها مهينا

وكقول عبد يغوث بن صلاء بن الحارث فى يوم الكلاب الثانى الذى كان بين مذحج وتميم ، ودارت الدائرة فيه على مذحج قوم عبد يغوث ، وهو اسير محكوم عليه بالاعدام على الرغم مما بذل من نفيس لفداء نفسه :

وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال   مطى وأمضى حيث لا حى ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتى   واصدع بين القينتين ردائيا

إلى أن قال :—

كانى لم أركب جوادا ولم اقل   لخيلى كرى نفسى عن رجاليا
ولم اسبأ الزق الروى ولم أقل   لأيسار صدق أعظموا ضوء ناريا

فانه جهالة جهلاء ، لأن هذه الحمية هى التى تثير الشحناء وتدفع للعداوة والبغضاء بين السكارى وتغرى بالاعتداء ، ولاحاجة اليها الآن فى الحرب ، لأنها اصبحت فنا ، وحسن قيادة من القائد ، وجودة تدريب للجند ، وتخطيطاً لابد فيه من سلامة العقل وصحة النظر ، وامتياز الفكر والمرابطة فى سبيل الله واليقظة والتاهب الدائم لسرعة الحركة والصبر ومصابرة الأعداء ومغالبتهم فيه ، ومباراتهم فى الاستعداد للحرب بمثل العتاد الذى يستعدون به أو يفوقه مما يدخل فى قدرتهم ، وقد حث الأسلام على هذا فقال تعالى : وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية . وقال صلى الله عليه وسلم : فيما رواه مسلم والترمذى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما : الاأخبركم بخير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله ، وفى رواية كلما سمع هيعة طار إليها(١)

وأما انفاق المال فقد كان منفعة حين كان ينفق على الفقراء والمساكين من العشيرة اما الآن فانه يذهب إلى الأشرار من الاجانب والفسقة من المواطنين ، ويضر بالأفراد الذين يتعاطونها ، وبالجماعة والدولة تبعا لذلك .

واما العربدة وصدع الاردية وشق الجيوب بين القيان فانها الجنون بعينه ، والتحلل الأخلاقى الكامل ، وفقدان السيطرة على نوازع الهوى والنفس الحيوانية التى هى ميزة الانسان على الحيوان .

وقد لقى طرفة بن العبد باعترافه سوء عاقبة هذه العربدة والمجون والسفاهة من الوسط الجاهلى فى قوله من معلقته :—

وما زال تشرابى الخمور ولذتى   وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى
إلى أن تحامتنى العشيرة كلها   وأفردت افراد البعير المعبد

(١) الهيعة صوت يفزع منه ويخشى من هجوم عدو .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التداوى بالخمر واختلاف الفقهاء فيه

وقد يدفع إلى شربها التداوى بها ، وهى شبهة قوية تستحق البحث ، لانها ان صحت كان فيها مبرر ودعاية جذابة لشرب الخمر ، لأن التداوى مطلوب شرعاً . روى الامام احمد عن انس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله حيث خلق الداء خلق الدواء ، فتداوا ، وغير هذا الحديث فى طلب التداوى كثير فى السنة الصحيحة وقد اختلف الفقهاء فى التداوى بالخمر بعد اتفاقهم على جواز شربها لاساغة الغصة وازالة الاختناق ، ولازالة العطش المهلك اذا لم يجد مايشربه أو يزيل به ذلك سواها .

فقال الجمهور بعدم الجواز مطلقا ، وقال آخرون يجوز بشروط :—

الا يوجد دواء من الحلال يقوم مقام التداوى بها .

وان يصفها للدواء طبيب مسلم عدل .

وان يكون المقدار الموصوف للتداوى قليلا لا يسكر .

والا يقصد المتداوى بها اللذة والنشوة .

والا يتجاوز المقدار الذى يحدده الطبيب .

ادلة المانعين

واستدل الاولون بعموم قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم . ومارواه مسلم واحمد وابو داود والترمذى من ان طارق بن سويد الجعفى سأل النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يصنعها فنهاه عنها ، فقال : انما أصنعها للدواء فقال صلى الله عليه وسلم : انه ليس بدواء ولكنه داء .

ادلة المجيزين

واستدل الآخرون باباحته صلى الله عليه وسلم لبس الحرير لعبد الرحمن بن عوف لمكان حكة به (١) ، وبما ثبت فى الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم أذن للعرنيين أن يتداووا بأبوال الابل .

ويظهر أن القول بالمنع يتحتم فى شرب الخمر لتغذية المعدة أو الدم أو ايجاد شهوة الطعام ، لانها لا تفيد فى ذلك عاجلا الا لتضاعف الضرر آجلا ، وأما أخذ نقط قليلة لا تسكر لعلاج نوبة قلبية أو فى دواء مركب تغنى فيه نقط الخمر ، ويتغلب عليها

---

(١) الحكة مرض جلدى يوجب أن يحك المصاب به جلده كالجرب ونحوه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير ها فلا يزال يجيزه الان بعض الأطباء ، والاحتياط منعه . وقال الامام البيهقى فى التوفيق بين أحاديث المنع التى استدل بها الجمهور وبين حديث العرنيين الذى استدل به المجيزون : ان صحت هذه الاحاديث فهى محمولة على النهى عن التداوى بالمسكر والتداوى بالحرام من غير ضرورة ليجمع بينها وبين حديث العرنيين .

اختلاف الأطباء ايضا

وقد جرى مثل هذا الخلاف بين الأطباء المحدثين ، وهذه جمل ذكرها صاحب تفسير الجواهر الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله مترجمة من كتاب الاستاذ كيلوج الامريكى قال تحت عنوان : الاستعمال الطبى للخمر : من كان عنده أقل ريب فى أن الخمر سم فليعتبر بما يكون عند وصولها الى المعدة ، فان الغشاء المخاطى يصير محتقنا ويخرج مقدارا من المخاط ليحمى نفسه ، ويرى تمدد المعدة وقواها الدافعة تسرع فى اخراج ما وصل اليها بأسرع ما يكون ، ثم ذكر ان الاستاذ ليبج قال : ان الانسان اذا اعتدل فى الشرب قوى جسمه واكتسب نشاطا (١) ، وقد نقض هذه النظرية ثلاثة من علماء الكيمياء الفرنسيين ثم الاستاذ ادوار سميث الانجليزى وقد برهن الثلاثة الاولون على بطلان ما تقدم بقولهم : ان الخمر تخرج من الجسم ولا اثر لها ، وزاد الاخير أنه حلل الدم فلم يجد فيه ادنى شىء من العناصر التى تتركب منها الخمر ، وقال الدكتور ملر الاسكتلندى : الخمر لا تشفى شيئا ، وقال الدكتور هيجبتو توم امام الجمعية الطبية البريطانية : انا لا اعلم مرضا قط شفى بالخمر ، وقال الدكتور جنسون الانجليزى : ان الخمر ليست ضرورية ألبتة لتستعمل دواء ، وقال فى ابطال قولهم : ان الخمر غذاء وانها تحفظ الجسم او تقوى العضلات : ما هذه القوة ؟ ان هى الا اسم آخر من اسماء السموم ، فقولنا : فلان نشوان معناه مسموم

---

(١) وقد اغتر بهذا الخطأ بعض الشعراء فأجاز شرب القليل من النبيذ ، وزعم انه مفيد وحذر من شرب الكثير قال :ـ

شرب النبيذ على الطعام قليله ... فيه الشفاء وصحة الأبدان
واذا شربت كثيره فكثيره ... مزج عليك ركائب الشيطان
فتكون بين الضاحكين كبومة ... عمياء بين جماعة الغربان
فاحذر بجهدك أن ترى كجنيبة ... بعد العشاء تقاد بالأرسان

والجنيبة الدابة تقاد إلى الجنب وحسبنا فى الرد على ذلك مانقلناه عن هؤلاء الأطباء الكبار انجليز وفرنسيين من براهين علمية داحضة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبرهن على ذلك بقوله : اذا أدخلنا الخمر أو أى سم آخر من العقاقير السامة التى تعد بالمئات فى الجسم فان جميع الأعضاء تستعد للمقاومة والمدافعة لاخراجه من الجسم ، ومن هنا كان النشاط . وقال فى نقض قولهم : الخمر تمنع المرض : ان الناس يتعاطون الخمر لامراض مختلفة فاذا كان ما يقولونه حقا فأضرار الخمر أشد فتكا من تلك الامراض بالجسم ، فكيف بها اذا كانت لا تشفى منها شيئا ؟ فان تجارب الأطباء تثبت انها لاتترك اثرا فى النسيج ، والاثر الحقيقى انما يكون فى النسيج ، وقال فى ابطال قولهم : لا ضرر فى الخمر الصافية : ان الخمر الصافية هى سم صاف ! ! فاذا احتج الشارب بامثال هذا فقد ضل ضلالا بعيدا . لأنه اثبت ان الخمر سم فسواء أكانت الخمر نقية أو مخلوطة فهى ضارة بالصحة .

وفى أشهر مرجع طبى بريطانى وهو مرجع برايس الطبى يقول الدكتور اويرى لويس أستاذ الأمراض النفسية فى جامعة لندن : ان الكحول هو السم الوحيد المرخص بتناوله على نطاق واسع فى العالم كله ، ويجده تحت يده كل من يريد أن يهرب من مشاكله ، ان جرعة واحدة من الكحول تسبب التسمم ، وتؤدى الى الهيجان أو الخمود أما شاربو الخمر المدمنون فيتعرضون للتحلل (١) الاخلاقى الكامل مع الجنون .

وثانى هذه العوامل هو اضطراب الشخصية ، وثالث هذه العوامل هى المصاعب والمشاكل التى يواجهها المرء فى حياته مثل الفشل فى أى أمر من أمور حياته كالفشل فى العمل أو الدراسة أو الزواج أو أى شئ من هذا القبيل ، فيهرع الى الكأس ظانا أنها تنقذه من همومه فاذا بها الهم الذى لا هم بعده (٢)، ويحاول أن يهرب منها فلا يجد ملجأ منها الا اليها فيظل يتناولها حتى تأتى عليه . . .

أمريكا وتحريم الخمر

فمشكلة الادمان اعمق من أن ننظر الى ظاهرها فقط ولا يكفى أن نبين أضرارها فان الذى يشرب غالبا لا يجهل ما فيها من أضرار من أجل ذلك كله فقد قامت الولايات المتحدة فى القرن العشرين بتجربة تحريم الخمور ، وقد أقر الكونجرس الأمريكى بالاجماع تقريبا منع الخمر بقانون صدر فى ١٦ يناير سنة ١٩١٩ وينفذ من بداية يناير ١٩٢٠ ويحرم القانون صناعة الخمر سرا أو جهرا ، وبيعها ، وتصديرها ، واستيرادها ونقلها ، وحيازتها . . وكل من يخالف ذلك يعاقب بالسجن أو الغرامة أو كليهما معا .

---

(١) هذا هو اول العوامل فى كلامه .

(٢) وهذا معنى قول الشاعر العربى الذى قدمناه :

يقولـون ان الهم بالراح ينجلى ‏ ‏ ‏ ‏ فما بالها زادت عـلى همومى !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

موافقة الكونجرس بعد الدراسة والتوعية والاستفتاء

وبعد دراسة مستفيضة اعتمدت على ما قدمه الاطباء وعلماء الاجتماع والسياسيون من دراسات مفصلة عن مدى خطورة شرب الخمر ، وما ينتج عن ذلك من أضرار وافق الكونجرس على القانون ، وقبل أن تقوم الحكومة بهذه الخطوة قامت بحملة توعية واسعة النطاق فى جميع وسائل الاعلام حتى يصحب المنع شيئا من الاقناع ، ويكون وقعه مقبولا ، وشملت الحملة الاعلامية دور المدارس والمصانع حتى أصبحت هنالك مادة تدرس عن أضرار الخمر بل أصبحت جزءا من المواد الدراسية التى يدرسها الطالب فى كل مراحل التعليم الابتدائى والثانوى والجامعات ، ومبالغة فى معرفة اتجاه الشعب أجرى استفتاء عام قبل الاقدام على المنع فوافقت الاغلبية الساحقة على ذلك الاجراء ثم بعد ذلك قام الكونجرس وأعقبه مجلس الشيوخ بالموافقة على المنع .

واستمرت التوعية تواكب المنع وبذلوا فى ذلك جهودا جبارة حتى كان عدد ما كتب فى هذه الحملة عن أضرار الخمور تسعة ملايين صفحة أى ١٨ ثمانية عشر الف كتاب عدد صفحات كل كتاب ٥٠٠ خمسمائة صفحة أفاضوا فى بيان أضرار الخمور الطبية والاجتماعية والاخلاقية .

وبلغت تكاليف هذه الحملة الاعلامية فى ذلك العام فقط خمسة وستين مليون دولار غير ان الحكومة الامريكية لم تفلح بعد هذا كله فى القضاء على هذه الآفة القاتلة ، والغى قرار المنع .

أمريكا تعجز عن التنفيذ مع اقتناع الاغلبية الساحقة

ويقول أحد المؤلفين الامريكان :

ان قرار منع الخمر لم يلغ على أساس أن الخمر جيدة أو سيئة ضارة أو غير ضارة ان القرار قد الغى على أساس واقعى هو أن المنع قد فشل . (١)

الدعوة الاسلامية وقربها من العقول وأثرها على النفوس

فما أعظم تأثير الايمان بالله ورسله وآثاره ، وما أقرب الدعوة الاسلامية من العقول وما أسرع فعل الدعوة الاسلامية فى النفوس وسيطرتها على القلوب ، وما أبرك الارشاد المحمدى ، والنصح القرآنى فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى صرف

(١) (كتاب الخمر بين الطب والفقه)

الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم باحسان لى يوم الدين عن شرب الخمر ، وما ثم أخرى من عمل الشيطان بآيتين من سورة المائدة مهد لهما بآية من سورة البقرة وآية من سورة النساء ، وكره اليهم الاثم والفسوق والعصيان : امروا فى الاولى من الآيتين باجتنابها فاجتنبوها ونهوا فى الثانية عنها فلم يقارقوها بعد ذلك ، فهم مؤمنون ولا يشرب الشارب الخمر حين يشربها وهو مؤمن انتهوا عنها فورا من غير تلكؤ ولا لجاج بل مجوا ما بافواهم منها ، وأراقوا ما فى كئوسهم ودنانهم فى شوارع المدينة .

المخدرات

وأما الحشيش (١) والافيون (٢) والكوكايين (٣) والهروين (٤) والقات (٥) وما اليها من المخدرات والمغيبات والمفترات فهى أشد فتكا وأعظم ضررا .

يقول ابن تيمية رضوان الله عليه : ان الخمر حرمت لضررها فى جسم الانسان وعقله ، وما ينتج عن ذلك من امور ومشاكل واضطرابات ، وان هذه الاسباب نفسها تدعو الى تحريم الحشيش، لان الحشيشة أشد خبثا واكثر ضررا واكبر ايذاء للفرد والمجتمع من الخمر ، لذلك يجب ان تكون مكافحتها اشد وحدها أعنف من حد مستعمل الخمر ، ويرى ابن تيمية ان هذه الحشيشة موجبة لسخط الله وسخط رسوله وسخط عباده المؤمنين ، لانها مشتملة على ضرر فى دين المرء وعقله وخلقه وطبعه ، وتورث الخيالات الفاسدة والجنون ، وهى محرمه بمنزلة غيرها من المسكرات اه .

تحريم التداوى بالخمر معجزة اسلامية

اذن فلا شك ان ما كشفه علم الكيمياء من اضرار الخمر يثبت معجزة من معجزات القرآن الكريم الذى وصف الخمر بانها رجس ، اخبارا بالغيب ، ويثبت معجزة من معجزات خاتم المرسلين الذى قال : انه ليس بدواء ولكنه داء : من طريق الوحى لا من طريق التجربة والتحليل ، فليعتبر بهذا من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، وليعتبر به شباب

---

(١) نبات تستخرج منه مادة مسكرة .

(٢) كلمة فارسية لعصارة لبنية تستخرج من نبات الخشخاش يستعملها المدمنون للتخدير .

(٣) مادة مخدرة تستخرج من اوراق شجرة الكوكا وتستعمل فى الطب كمخدر موضعى ، ويرغب فيها المدمنون على المخدرات .

(٤) مركب كيمائى من أخلاط مخدرة

(٥) نبات مخدر يزرع باليمن يمضغون أوراقه للتخدير .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاسلام فيعملوا بشريعة نبيهم معجزة الشرائع التى لاتزال تتلاحق نتائج العلوم ومباحث العلماء ، وتتضافر على تأييدها ، وعليهم أن يقاطعوا الخمر ويحاربوها كما حاربتها الامم التى ادركت ضررها من طريق العلم ، والله الهادى الى سواء السبيل .

نجاسة الخمر :

نزلت آية تحريم الخمر الحاسمة : آية المائدة فلم تترك شبهة لمشتبه فى التحريم لما اشتملت عليه من المبالغة فى ذمها باكثر من منفر من شربها ، فقرنتها بالانصاب والازلام أعلام الوثنية وطواغيت(١) الشرك حتى قال عمر رضى الله عنه عند نزولها : أقرنت بالانصاب والازلام بعدا لك وسحقا ؟! وجعلت من عمل الشيطان لكثرة ما ينشأ عنها من الشرور والآثام واثارة العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ونصت على أنها رجس .

كلمة الرجس فى القرآن ومعناها

الرجس كلمة تدل على منتهى القبح والقذارة ، وعلى النجاسة الحسية والمعنوية ، وقد ذكرت كلمة الرجس فى القرآن الكريم فى تسع آيات منها الآية ١٤٥ من سورة الانعام : قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا اولحم خنزير فانه رجس الآية ، وهى فيها بمعنى النجاسة الحسية ، ومن هنا قال جمهور الفقهاء : ان الخمر نجسة العين نجاسة حسية كنجاسة البول والدم ، واستدلوا بهذه الآية وقال بعضهم : انها نجسة نجاسة مغلظة حتى لو اصاب ثوبا اكثر من مقدار الدرهم منها لاتجوز الصلاة فيه ، وقالوا : لايجوز تمليكها ، ولا تملكها ، واستدلوا بما روى من الاحاديث فى ذلك منها ما رواه مسلم عن ابن عباس : أن رجلا اهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم راوية(٢) خمر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل علمت ان الله حرمها قال : لا ، قال : فسار رجلا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم ساررته؟ قال : أمرته أن يبيعها فقال : ان الذى حرم شربها حرم بيعها قال : ففتح المزادة حتى ذهب مافيها ، فهذا الحديث يدل على حرمة بيعها — اذ لو كان فيها منفعة من المنافع الجائزة لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال فى الشاة الميتة : هلا اخذتم اهابها (٣) فدبغتموه فانتفعتم به ؟ الحديث .

(١) جمع طاغوت وهو كل رأس ضلال والشيطان وكل معبود من دون الله والطواغيت أيضا بيوت الأصنام .

(٢) الراوية — القربة التى فيها الخمر سماها مرة براوية ومرة بمزادة وهما بمعنى واحد وربما قالوا مزاد بغير (هاء).

(٣) الإهاب الجلد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حكم الخمر اذا تخللت وحكم تخللها

واختلفوا في حل اكلها اذا تخللت فذهب — الجمهور إلى انه لايجوز تخللها بعمل آدمي ، لان النبي صلى الله عليه وسلم استؤذن في تخليلها فقال : لا ونهى عن ذلك ، وقال قوم منهم الليث بن سعد والثوري والاوزاعي والكوفيون : لاباس بتخليلها ، ولابأس بأكل ماتخلل منها بمعالجة آدمي وعمله ، ومذهب المالكية أنها اذا تخللت بذاتها جاز اكلها

أسئلة حول مايدخل فيه الكحول

وقد سالنا بعض المواطنين عن استعمال الكولونيا والروائح التي يستعمل في حلها السبرتو هل يجوز التطيب بها شرعا أو لايجوز ؟ فأجبنا فيما يأتي باختصار :

من العلماء من قال بعدم نجاسة الخمر كربيعة والليث بن سعد والمزني صاحب الشافعي وابن لبابة وابن الحداد والتتائي من المالكية ، وأن تحريمها لضررها بالعقول ، وهذا معنى كونها رجساً في آية المائدة : ياايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . واستدل سعيد بن الحداد على طهارتها بسفكها في طرق المدينة المنورة قال : ولو كانت نجسة لما فعل ذلك الصحابة رضوان الله عليهم ، ولنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نهى عن التخلى (١) في الطرق .

فلاشيء في استعمال الكلونيا والروائح التي يستعمل في حلها السبرتو الابيض وغيره على أن الجمهور الذين يقولون بنجاسة الخمر والسبرتو خمر ، لأنه مسكر ، وكل مسكر خمر منهم من يقول بجواز التضمخ (٢) بالنجاسة مع الكراهة فاستعمال الكولونيا والراوئح التي يستعمل في حلها السبرتو وان كانت نجسة فالتطيب بها مكروه ، والمكروه عند الفقهاء مايثاب على تركه ولايعاقب على فعله .

ولاشك ان القول بمجرد الكراهة في الخمر التي استحالت إلى صلاح ، وفي النجاسات المعنوية التي لايعافها الطبع ، ولاتنفر منها النفس كنجاسة الخمر معقول ، وليس فيه بعد والله اعلم .

---

(١) أي قضاء الحاجة .

(٢) التضمخ للتلطخ

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الخمر عند اهل الكتاب

بينا فى ماتقدم خلاف العلماء فى تحريم القليل الذى لايسكر من غير خمر العنب. ومن الشبه التى يستدل بها الذين يذهبون إلى اباحة مادون القدر المسكر مما سوى خمر العنب أن الأديان السابقة كانت تحل الخمر ، ولاتمنع الا السكر ، وهذا على فرض صحته (١) لايدل على عدم تحريم ذلك فى الاسلام الذى يعتبر مكملا للأديان السماوية على ما اقتضته حكمة الله من التدرج والترقى فى التشريع .

فقد ورد فى العهدين القديم والجديد من تبشيع السكر والتنفير منه مايعتبر تمهيداً حسنا لتحريم الخمر قليلها وكثيرها فى الاسلام .

من ذلك ماجاء فى نبوة أشعياء عليه السلام من العهد القديم : ويل للمبكرين صباحا يتبعون المسكر وللمتاخرين فى القمة تلهيهم الخمر ، وصار العود والرباب والدف والنأى والخمر ولائمهم ، وإلى فعل الرب لا ينظرون وعمل يديه لايرون ، لذلك سبى شعبى لعدم المعرفة وتصير شرفاوه رجال جوع ، وعامته يابسين من العطش لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاها بلا حد : وقال بولس فى العهد الجديد من رسالته إلى اهل أفسوس : ولا تسكروا بالخمر الذى فيه الخلاعة ونهى عن مخالطة السكيرين ، وجزم بأن السكيرين لايرثون ملكوت السماوات .

والعجب من قول الشوكانى فى ارشاد الفحول — مع هذا —: قد تأملت التوراة والانجيل فلم اجد فيهما الا اباحة الخمر مطلقا من غير تقييد بعدم السكر .

---

(١) لان من اهل الكتاب من يعتقد أن الخمر حرام مطلقاً ، وفى النصوص الآتية من العهدين القديم والجديد مايؤيد ذلك ، وعلى كل حال سواء كان المحرم عندهم شرب الخمر مطلقاً أو السكر فالأخذ بمثل قول القائل :

فان لم تكن حلا على دين احمد   أدرها على دين المسيح ابن مريم

جهل وفسوق ، وكفر مع الاستحلال .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ليس أدل على أن الله سبحانه وتعالى بعث النبيين للناس مبشرين ومنذرين ، وانزل معهم الكتب بالحق ، وأرسل خاتمهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالرسالة العامة الخالدة رعاية لمصالحهم ، وارشادا الى سبيل سعادتهم فى الدنيا والاخرة من قوله جلت حكمته كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وما اختلف فيه الاالذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم الآية ٢١٣ من سورة البقرة ، ومن قوله تعالى عظمت رحمته لنبى الرحمة : وما أرسلناك الا رحمة للعالمين الآية ١٠٧ من سورة الانبياء .

فتحقيق مصالح العباد وسعادتهم فى الدنيا والآخرة بجلب النفع لهم ، ودفع الضرر عنهم هو المقصد الأول والحكمة العامة فى تشريع الاحكام الالهية (١) ولكل حكم من الاحكام التفصيلية حكمة فى كتاب الله أو أسباب نزول آياته أو فى السنة الصحيحة يبينها المفسرون ، وأصحاب السنن وشراح الاحاديث النبوية والائمة المجتهدون ، يقول تعالى بعد تشريع الوضوء والغسل والتيمم : ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون الآية ٦ من سورة المائدة ، ويقول تعالى فى شرع القبلة : ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشونى ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون الآية ١٥٠ من سورة البقرة ، ويقول تعالى فى شرع الصلاة : اتل ما اوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ، ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الآية ٤٥ من سورة العنكبوت ، ويقول تعالى فى التكليف بالصيام :
يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون الآية ١٨٣ من سورة البقرة ، ويقول تعالى فى الحكمة من تشريع القصاص : ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون الآية ١٧٩ من سورة البقرة ، ويقول جل شأنه فى الاذن بالقتال : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير الآية ٣٩ من سورة الحج .

---

(١) فالتحقيق أن أحكام الله تعالى قائمة على رعاية مصالح العباد ، وهو اختيار اكثر المتأخرين من الفقهاء ، وأما نفور بعض المتكلمين من تسمية رعاية هذه المصالح بالعلة أو الغاية أو الفرض فسببه أن كلا من العلة والغاية والفرض يشعر بحاجة الحاكم ، والله تعالى منزه عن الحاجة ، ولو اريد بها مايقصد به تكميل عباده كانت رعايتها نوعا من الكرم والرحمة ، ومظهرا من مظاهر العدل والحكمة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

احكام الشارع لاتخلو من حكمة

وهكذا دل الاستقراء على ان للشارع الحكيم فى كل حكم من احكام الشريعة الاسلامية حكمة ، وقد خرج علماء أصول الشريعة الاسلامية من هذا الاستقراء،ومن تعرف مصالح الناس فى الواقع وعلى الطبيعة ، ومن النظر فى مدى توقف صلاحهم عليها ، وسعادتهم بها، ودرجة افتقارهم اليها قوة وضعفا أنها تنحصر فى انواع ثلاثة : مصالح ضرورية ، ومصالح حاجية ، ومصالح تحسينية .

الضروريات او الكليات الخمس

وعرفوا المصالح الضرورية بانها الامور التى تقوم عليها حياة الناس ولا تستقيم الا بها بحيث اذا فقدت فسدت حياتهم وعمت فيهم الفوضى ، واختل النظام ، وانعدم الأمن والاستقرار ، وهلكوا او كادوا .

واجملوها فى خمسة اشياء : حفظ الدين ،والنفس ، والعقل ، والعرض، والمال وقالوا: انها روعيت فى جميع الاديان ،وقد شرع الله تعالى لكل امر من هذه الامور الخمسة احكاما تكفل ايجاده ، واحكاما تكفل حفظه .

فشرع لايجاد الدين وجوب الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وسائر العقائد ، واركان الاسلام الخمسة ، واصول العبادات ، والمعاملات والأخلاق واوجب الدعوة اليه .

وشرع لحفظه احكام الجهاد لقتال من يحاول العدوان عليه او يفتن مسلما ليرجع عن دينه او يقف عقبة فى سبيل الدعوة اليه، وعقوبة (١)من يرتد عنه او يبتدع فيه ماليس منه .

ومن هنا لخص علماء الأسلام وظيفة من يلى أمور المسلمين فى شرافة الدين وسياسة الدنيا

وشرع لايجاد النفس النكاح للتوالد والتناسل ، وبقاء النوع .

وشرع لحفظها ايجاب القصاص او الدية والكفارة على من يعتدى عليها ، واوجب دفع الضرر عنها ، وحرم ان يلقى بها الى التهلكة .

وشرع للعرض (٢) الزواج للعفاف وتكوين اسر طاهرة ينشأ فيها الأولاد بين ابوين طبيعيين ، وتتوافر عاطفة الابوة الحقة مع عاطفة الأمومة .

---

(١) لئلا يفتتن به غيره .

(٢) العرض يطلق على موضع العفة ، والمدح والذم من الانسان ، وعلى مايصونه من نفسه أو من يلزمه من حرمه وأهله ، وعلى مايفتخر به الانسان من حسب وشرف .

وشرع لحفظه حد الزانية والزاني ، وحد القذف .

وشرع لايجاد المال ايجاب السعي لتحصيل الرزق بالتجارة والزراعة والصناعة وسائر انواع العمل المشروعة

وشرع لحفظه تحريم السرقة وحد السارق والسارقة ، وتحريم اتلاف مال الغير وتضمين قيم المتلفات ، وتحريم الغش والخيانة ، والتزوير واكل اموال الناس بالباطل ، واوجب الحجر على السفية وذي الغفلة .

واما العقل فقد وهبه الله للانسان ، وفضله به على كثير ممن خلق ، واستأهله لخلافته في الارض .

وشرع لحفظه وبقائه في سلامة ونشاط وكمال تحريم الخمر — موضوع كلامنا — وشرع حداً وعقوبة صارمة على من يتناولها او يتناول اى شئ يماثلها في الاضرار به من المخدرات والمفترات

ما هي ؟ وأحد هي أم تعزير ؟

وهي ثمانون سوطا عند مالك وأبي حنيفة وفي رواية عن أحمد رضي الله عنهم ، مستدلين باجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على ذلك : روى الامام البخاري من حديث السائب بن يزيد : قال كنا نؤتى بالشارب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وامرة ابي بكر ، وصدر من خلافة عمر فنقوم اليه بايدينا ونعالنا وارديتنا حتى كان آخر إمرة عمر فجلد اربعين حتى اذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين ، واما ماروى من جلد على أربعين بعد عمر فلم يصح .

وهي أربعون سوطا عند الشافعي ، وفي رواية عن احمد رضي الله عنهما ، وحجة الشافعي ومن وافقه أن النبي صلى الله عليه وسلم انما جلد أربعين كما جاء في صحيح مسلم قال : حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن هشام عن قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يضرب في الخمر بالنعال والجريد أربعين ، و أما زيادة عمر فهي تعزير والتعزير الى رأى الامام ان شاء فعله وان شاء تركه بحسب — المصلحة في فعله وتركه (١).

---

(١) التعزير في الاصل من العزر وهو المنع ويطلق على اللوم والتأديب والضرب الشديد وعلى العقوبة دون الحد ، لأن كل ذلك يمنع من معاودة القبيح ويطلق على التوقير والتعظيم والاعانة والنصر ، ضد ومنه قوله تعالى : وعزروه ونصروه الآية ١٥٧ من سورة الاعراف في الثناء على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصاره لأنهم منعوه حتى لا يقوى عليه عدو والمراد بالتعزير في قولة تعالى ليؤمنوا بالله ورسوله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه . الآية ٩ من سورة الفتح التى تعود فيها الضمائر على الله سبحانه تعزير دينه ورسوله بالمنعة والنصر قال جار الله من فرق الضمائر اى جعل بعضها لله وبعضها لرسوله فقد ابعد اهـ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بم تثبت هذه الجريمة

وتثبت هذه الجريمة بأحد الأمور الآتية :ـ

بشهادة رجلين تتوافر فيهما الشروط العامة للشهادة من العقل والبلوغ والعدالة والحفظ وعدم العداوة والقرابة والمحاباة .

وبالاقرار ويكفى فيه ان يقر مرة عند الأئمة الأربعة مع مراعاة شروط الاقرار .

وبالرائحة تفوح من فمه وتعتبر وحدها دليلا على الشرب عند الامام مالك اذا شهد بها شاهدان، ولا تعتبر كذلك عند أبى حنيفة والشافعى، لاحتمال الاكراه على الشرب أو انه أكل نباتا أو شرب شرابا تشبه رائحته رائحة الخمر كشراب التفاح والسفرجل كما قال القائل ينكر اتهامه بشرب الخمر :

يقولون لى: انكه (١) قد شربت مدامة فقلت لهم: لاقد شربت السفرجلا

والحدود تدرأ بالشبهات .

وبالسكر عند الامام مالك وعند الامام أبى حنيفة يعتبر السكر دليلا على الشرب ، فاذا شهد على شخص اثنان بأنهما وجداه فى حالة سكر ووجدت فيه الرائحة وجب عليه حد الشرب .

ولا يرى الامام الشافعى السكر دليلا على الشرب لاحتمال انه احتقن بها أو استعطها (٢) أو شربها لعذر من غلط أو اكراه .

وبالقىء وحده عند الامام مالك، ولا يرى الامام ابو حنيفة والشافعى القىء وحده دليلا على الشرب .

وحجة الامام مالك أن عمر رضى الله عنه حد قدامة لما شهد علقمة أنه رآه يتقيأ الخمر ، وقال عمر : من قاءها فقد شربها ، وكذلك قال عثمان رضى الله عنه لما شهد رجلان على الوليد بن عقبة : احدهما أنه رآه يشربها ، والآخر أنه رآه يتقيوءها : لانه لم يتقيأها حتى شربها وكان ذلك بمحضر من الصحابة فلم ينكره أحد منهم فكان اجماعا ولعل ذلك لم يثبت عند أبى حنيفة والشافعى أو رأيا أن ذلك كان اجتهادا من عمر وعثمان رضى الله عنهما

---

(١) تنفس لتعرف رائحة فمك لمن يشمها .

(٢) أى ادخلها فى أنفه يقال : استعط الدواء اذا أدخله فى انفه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شروط توقيع هذه العقوبة

وتوقع هذه العقوبة بشروط يجب تحقيقها في مرتكب هذه الجريمة وهي ان يكون مسلما فلا يحد غير المسلم ، لقوله صلى الله عليه وسلم في اهل الكتاب : اتركوهم ومايدينون فالخمر لهم كالخل لنا ، والخنزير لهم كالشاة لنا(١) ولكن يعزر المتظاهر منهم بشربها على التظاهر لا على الشرب ، لانه يشيع منكرا في دار الاسلام .

مكلفا بأن يكون بالغا عاقلا ، وأن يكون مختارا غير مكره على شرب الخمر ، وان يكون غير مضطر إلى شربها ، وأن يكون على علم بأن مايشربه خمر سواء علم أنه من عصير العنب أو غيره أو علم أن كثيره مسكر أم لم يعلم شرب منه مقدارا يسكر أو لا يسكر عند الجمهور ، وعند الحنفية لا يحدا ذا علم أن كثيره يسكر و لكنه شرب منه مقدارا لا يسكر

الحاجيات

وضبطوا المصالح الحاجية بانها الامور التي يحتاج اليها الناس في تخفيف أعباء الحياة ومشاق التكاليف ، وتيسير سبل العيش ، ولا يترتب على فقدها مايترتب على فقد الضروريات من الفساد ، وانهيار النظام ، والهلاك ، ولكن ينالهم عند فقدها من الضيق والحرج مايعنتهم ويشق عليهم .

سماحة الإسلام واليسر في شريعته

وفي الشريعة الاسلاميه احكام وافية برفع الضيق والحرج عن العباد ، كالرخص في العبادات من طهارة وصلاة وصوم وغيرها ، وكالا ستثناء من شروط القواعد العامة في عقود المعاملات ، كاستثناء السلم والاجارة من عدم جواز بيع المعدوم ، لأن من شروط المعقود عليه أن يكون موجوداً ، والمسلم فيه والمنفعة غير موجودين عند عقد السلم والاجارة ، وكاغتفار الجهالة في المزارعة والمساقات وبيع الغائب لحاجة الناس لذلك

وقد نوه تعالى بهذه الأحكام وامتن فقال عز من قائل : مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون الآية ٦ من سورة المائدة ، وقال تعالى : وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج الآية ٧٨ من سورة الحج ، وقال تعالى : فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الآية ١٨٥ من سورة البقرة

وطلب التيسير وعدم التعسير على العباد أصل في الاسلام عقيدة وعبادات ومعاملة واخلاقاً اجمله صلى الله عليه وسلم في الحديث الكريم : بعثت بالحنيفية السمحة الحديث وصرح به في احاديث كثيرة من اشهرها مارواه انس : يسروا ولا تعسروا وبشروا

(١) هذا نص أن ضح في أن أهل الكتاب أو أن منهم من يدينون بحل الخمر و لحم الخنزير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولاتنفروا، ومنها أخذ الاصوليون قاعدة: المشقة تجلب التيسير ، وهى أصل لجميع الرخص التى شرعها الله ترفيها وتخفيفا عن المكلفين عند الاسباب التى تقتضى التخفيف كالسفر والمرض والاكراه والنسيان ونحوها.

التحسينيات

وقالوا عن التحسينيات انها الكماليات التى تتحسن بها حياة الناس وتتكامل وتطيب غير انها اذا فقدت لايتعرضون للهلاك والدمار كما لو فقدوا الضروريات، ولايصيبهم عسر ومشقة ، كما اذا فقدوا الحاجيات لكن تكون حياتهم دون المستوى الذى تطمح اليه الفطرة السليمة ، وتتطلع اليه العقول الراجحة ، والنفوس العالية ، والأذواق الراقية من الرخاء ورغد العيش ولينه.

وقد شرع تعالى لذلك جلت نعمه فأباح الزينة التى أخرجها لعباده والطيبات من الرزق ، قال تعالى : يابنى آدم خذوا زينتكم (١) عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا ، انه لايحب المسرفين ، قل من حرم زينة (٢) الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الآيتان ٣١ — ٣٢ من سورة الاعراف .

وشرع الطهارة والنظافة فى الابدان والثياب والمآكل والمشارب والمساكن ، وجعلها من الايمان، وندب إلى النوافل والقرب فى العبادات والمعاملات والعادات ، وأرشد إلى أكرم اساليب الحياة والعيش ، وأجمل مناهج الآداب والسلوك .

---

(١) الزينة الزخرفة والحسن ، والمراد بها هنا الثياب الحسنة ، والمراد بأخذها ستر العورات والتجمل بها واظهار نعمة الله فيها ، وترك العادة الجاهلية المنكرة التى كان عليها العرب غير القرشيين وهى الطواف بالبيت عراة والمطلوب من ذلك يختلف كما قال عمر رضى الله عنه باختلاف حال الانسان فى السعة والضيق كالنفقة : قال تعالى : «لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها» الآية ٧ من سورة الطلاق ، فمن عنده ثوب واحد يستر جميع بدنه فليستر به جميع بدنه ويصل به فان لم يستر الا العورة كلها أو العورة المغلظة — وهى السوأتان فليستر به ماي ستره ، ومن وجد ثوبين مهما يكن نوعهما أو أكثر فليصل بهما أو بها ، وقد عد الفقهاء من اعذار ترك الجمعة والجماعة فقد الرجل الثياب اللائقة به بين امثاله حتى العمامة للعالم .

(٢) وزينة الله التى اخرج لعبادة أنواع لا تكاد تحصى فالمال والبنون زينة ،والحلى زينة ، والخيل المسومة والمراكب الفارهة ، والقصور المشيدة ،والحدائق الغناء ذات البهجة بالوان نباتها وازهارها زينة،والفنون الجميلة وآثارها زينة ، فجاء الاسلام دين الفطرة السليمة والجمال والكمال ينكر اشد الانكار على الذين حرموا زينة الله التى اخرج لعباده ، وما رزقهم الله من الطيبات افتراء على الله ، وللامام مالك رضى الله عنه رد مشهور بالآية على يحى بن يزيد النوفلى الذى أخذ عليه ما أباحته يرجع اليه فى كتاب العلم من احياء علوم الدين للامام الغزالى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتبين مما تقدم أن الزم الأحكام لمصالح الناس الضروريات ، ويليها الحاجيات فالتحسينيات لأنهمامكملتان لها ،والتحسينات مكملة للحاجيات فلايصح العمل بحكم تحسيني اذا كان في العمل به اخلال بحكم ضروري ، مثال ذلك أن يتوقف اجراء عملية جراحية ضرورية على كشف العورة ، لأن ستر العورة تحسيني والعلاج ضروري فيباح كشفها :

امثلة لايضاح التفرقة:

ويمكن أن يمثل لتوضيح الفرق بين المصلحة الضرورية والحاجية والتحسينية من المساكن بالمسكن الذي يكون في حدود مايكن الانسان ويقيه شدة الحر والبرد ، ولو كان كوخاً أو مغارة في جبل أو بيتا من شعر ، فانه مصلحة ضرورية له ، وبالمسكن الذي يكون فوق ذلك صحيا ذا ابواب ونوافذ تفتح وتغلق حسب الحاجة يتجدد منها الهواء ، وتدخل الشمس ، فانه مصلحة يحتاجها الانسان ، وبالقصر الذي يتوافر فيه مع ذلك الأثاث الفاخر والمرافق المريحة ، ووسائل الحياة الطيبة الكريمة ، والعيش الهنيء المستحسن .

كما يمكن مثل ذلك في ملبس الانسان ، وماكله ومشربه ، ففيها الضروري ، والحاجي والتحسيني .

ومثل الفرد المجتمع اذا تحقق لافراده وجود ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسينياتهم وحفظت مما يخل بها فقد تحقق له مايكفل مصالحه وصار مجتمعا را قيا صالحا ، واذا اختل شيء منها كان لاختلاله من الأثر ماله في الافراد (١) .

---

(١) في الشعر العربي الأبيات الآتية التي لم ينسبها سيبويه في شواهد النحو : ونسبها بعضهم إلى ميسون الكلابيه وهي امرأة بدوية تزوجها معاوية رضي الله عنه ، ونقلها من البادية إلى الحضر ، وهي ام ولده يزيد ، وهي تشير إلى هذه الفروق ، وان كانت قد فضلت فيها الضروريات على الكماليات لضيق نفسها بظروف مع أمير المؤمنين :

لبيت تخفق الأرواح فيـــه — أحـــب إلى مـــن قصر منيـــف
ولبـــس عبـــاءة وتقر عيني — أحـــب إلى مـــن لبـــس الشفوف
واكـــل كسيـــرة في قعر بيتي — أحـــب إلى من اكـــل الرغيـــف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحدود حكمتها واهميتها في الاسلام

وحرصا من الاسلام على تحقيق ضروريات الناس شرع تلك الحدود الزاجرة الرادعة محافظة على الدين ، والنفوس ، والعقول ، والاعراض ، والاموال ، وشدد في وجوب اقامتها : روى النسائي وابن ماجه عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : حد يعمل (١) في الارض خير لأهل الارض من أن يمطروا اربعين صباحا .

وروى أن فاطمة المخزومية سرقت شيئا من المتاع ، وعز على بني مخزوم أن تقطع امرأة منهم في سرقة ، وهم بطن من اشرف بطون قريش ، ورهط خالد بن الوليد رضى الله عنه ، فاختاروا أسامة بن زيد ، وكان من احب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع فيها ويرجو الرسول أن يغفر لها زلتها ، ويدرأ عنها الحد فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكر على اسامة ذلك قائلا :— أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فاختطب الناس ، وقال : انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا اذا سرق الشريف فيهم تركوه واذا سرق الضعيف اقاموا عليه الحد ، والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ، وروى الدارقطني والبيهقي في السنن أنه صلى الله عليه وسلم قال : ادرؤا الحدود ، ولاينبغي للآمام تعطيل الحدود أي لايجوز ترك اقامة شيء منها بعد ثبوته على وجه لامجال فيه للشبهة.

وهذه الحدود في الواقع من مميزات الاسلام ، وميزات شريعة الله تعالى العالم بمصالح عباده ، وأدوائهم وادويتها ، وامراضهم وسبل الشفاء منها، فلو قتل القتلة والبغاة لكان في القصاص حياة (٣) ، ولو قطعت ايدى اللصوص التي ارخصتها (٤) السرقة والخيانة

---

(١) أي ينفذ فيمن يستوجبه أنفع من ذلك ، حتى لا تنتهك حرمات الله تعالى فيغضب .

(٣) أدرك هذا العرب فقالوا : القتل أنفى للقتل .

(٢) أي يرفعه عنها ولا ينفذه فيها .

(٤) لما قال أبو العلاء عن قطع يد السارق والسارقة :

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار ؟

اعتبر علماء الشريعة ذلك زندقة منه ، واعتراضا على حد السرقة ، فاجابه علم الدين السخاوي :

عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

والذين يحسنون الظن بفيلسوف المعرة يتاولون ذلك بأنه أراد التنبيه إلى البحث عن الحكمة ، وبيانها ، ونصاب السرقة أي أول مقدار يستوجب القطع ربع دينار عند الائمة : مالك والشافعي واحمد ، وعند ابى حنيفة دينارا ومايساوى ذلك ، وعلى التقديرين الفرق كبير بينه وبين ديتها اذا قطعت ، والحكمة ماشار اليه علم الدين السخاوي ، لأن الأمانة قمة القيم الاسلامية ، والخيانة أم الجرائم لا يأمن الناس معها على أموالهم ولا أرواحهم ، فكثيرا ماتتبع الأرواح الاموال في الهلاك على أيدى اللصوص اذا شعر بهم أهلها وقاوموهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكان فى ذلك قضاء على الجرائم المروعة التى تنزل بالمجتمع من الأضرار أضعاف ما ينزل بهم من عقاب ، ولو رجم الزناة المحصنون ، وجلد غير المحصنين ، والقذفة والسكارى لكان فى ذلك قضاء على ما يتسببون فيه للناس من أذى وأضرار أضعاف ما يلحق بهم من أذى وأضرار .

الحدود لوضع حد للاجرام والعدوان

على ان تنفيذ هذه الحدود سيحد من الاجرام والعدوان او يقضى عليه فيحد من تنفيذها او تنتهى موجباتها فتنتهى ، لانها انما شرعت للاصلاح لا للقسوة ، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية عن هذه الحدود : انما شرعت رحمة من الله تعالى بعباده فهى صادرة عن رحمة الخلق والاحسان اليهم ، ولهذا ينبغى لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الرحمة والاحسان اليهم ، كما يقصد الوالد تأديب ولده وكما يقصد الطبيب معالجة المريض آه . ويؤيد انها للاصلاح ورحمة المجتمع لا للقسوة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا قطع فى زمن المجاعة. رواه الخطيب فى التاريخ ،وعمل بذلك عمر رضى الله عنه عام (١)الرمادة ، وأنها تدرأ بالشبهات أخرج ابن عدى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال صلى الله عليه وسلم : ادرءوا الحدود بالشبهات ، واخرج الترمذى والحاكم والبيهقى وغيرهم من حديث عائشة رضى الله عنها : ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله ، فان الامام لأن يخطئ فى العفو خير من ان يخطئ فى فى العقوبة ، ومن أرحم من الله بعباده . ؟!

وهى من المميزات الواضحة للشريعة الإسلامية عن القوانين الوضعية ، لقلة الخلاف بين الشريعة والقانون المدنى الا فى بعض الأحكام كأحكام المعاملات الربوية التى تبيحها القوانين الوضعية ، وتحرمها الشريعة الإسلامية ، ولعدم لزوم التعارض بينها وبين القانون

---

(١) الرمادة الهلاك وعام الرمادة عام فى ايام عمر رضى الله عنه سمى بذلك لانه كان عام جدب ومجاعة هلكت فيه الأموال والأنفس فوقف فيه حد السرقة و أخر اخذ الزكاة عمن تجب عليهم .تخفيفا عنهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجنائى فى الجنح والمخالفات ، لأن العقوبة عليها فى الشريعة الإسلامية تعزيرية متروكة للقضاة يحكمون فيها بما يرونه مناسباً لردع الجانح والمخالف ، ولم تحدد لها عقوبات معينة فقد يرى القاضى الاكتفاء ببذل النصح ولفت نظر الجانى لسوء عمله ، وقد يحكم عليه بالحبس أو الجلد أو الإعدام اذا استفحل ضرره وتفاقم خطره ، واقتضت المصلحة العامة ذلك .

تهرب مكشوف من تنفيذ الحدود

فالعجب العجاب ممن يرون أن الحدود التى شرعها الله جلت حكمته لإصلاح أحوال الناس بالقضاء على الفساد والجرائم لا تطبق الا اذا صلحت أحوال الناس، ، استعدوا لذلك، ومتى تصلح أحوال الناس ويستعدون لذلك؟ وبم تصلح ويستعدون لذلك؟ وقد عجزت القوانين الوضعية أن تقضى على الفساد أو تحد منه ؟ وبحت أصوات الوعاظ ، ونفدت كلمات النصاح من المفكرين وعلماء الاجتماع ،وقد تفاقم الفسا د واستحدثت أساليب وطرق جهنمية للسرقة والقتل والنشل والسلب والنهب، وكثر السطو والعدوان ، والرشوة والبهتان ، واستشرى ، وضج الناس واستغاثوا؟ هذا دور باطل وفكر متخاذل .

أفليس من صدق الايمان بالله تعالى ، والاعتقاد فى حكمته أن نستجيب لدعائه ونتداوى بدوائه ، ونرضى بقضائه ،ولا نخشى فى ذلك لومة لائم ؟ !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الميسر


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الميسر أو القمار ومفاسده

كان القمار (١) معروفا عند اكثر الامم منذ اقدم العصور ، وقد حرمه القانون الرومانى إلا فى المآدب ، وأحل المراهنة فى الالعاب الرياضية ، وحرمته الكنيسة المسيحية فلما جاء القرن السادس عشر انتشر القمار فى اوربا انتشارا مريعا ، وتأسست بيوت للمقامرة فى جميع العواصم الاوربية ، وعندما استفحل ضرره وتفاقم خطره ، وأدركه العقلاء والحكومات حرم كذلك فى انجلترا والمانيا وامريكا وغيرها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

سبق الاسلام كشانه إلى كل اصلاح اجتماعى

اما الاسلام فقد سبق إلى تحريم القمار من اربعة عشر قرنا . قال تعالى : يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون الآيتان ٩٠، ٩١ من سورة المائدة

ويظهر أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يستبشع الميسر استبشاعا عظيما كما يستبشع الانصاب والازلام ، ولهذا قال عند نزول هاتين الآيتين : أقرنت — يعنى الخمر بالميسر والانصاب والازلام بعدا لك وسحقا !؟(٢) .

والميسر فى الاصل القمار بالقداح الذى كان معروفاً عند العرب حينذاك ، وهو عبارة عن لعبة يجتمع لها الفتيان والرجال ، ويأتون بناقة ينحرونها ويقسمونها عشرة أجزاء أو ثمانية وعشرين جزءا ، ويأتون بقداح عشرة كانت معروفة عندهم ، وهى قطع رقيقة من الخشب تشبه السهام لكل منها اسم خاص ، ولبعضها نصيب معين .

---

(١) وهو كل لعب يشترط فيه ان يأخذ الغالب من المغلوب شيئا سواء كان بالورق أو غيره .

(٢) السحق — البعد والهلاك : دعاء عليها بأن يبعدها الله ويهلكها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاصل فى تسمية القمار بهذا المعنى ميسراً أن الجزور أى الناقة أو الجمل الذى كانوا يتقامرون عليه يسمى ميسراً من اليسر بمعنى التجزئة والاقتسام لانهم كانو يجزئونه أجزاء توزع على الفقراء فكان بذلك مكان التجزئة ، ثم صار يقال للمتقامرين ياسرون وللقمار ميسر .

وقيل سمى القمار ميسراً من اليسر بمعنى السهولة ،لان الربح فيه كسب بلا مشقة او من اليسار ، لانه يكون سبباً فى اليسار للرابح.

اسماء السهام والأنصبة

الفذ وله جزء ، والتوأم وله جزءان ، والرقيب وله ثلاثة ، والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة ، والمسبل وله ستة ، والمعلى وله سبعة ، ولانصيب للمنيح والسفيح والوغد

طريقة اللعب بها

فيضعونها فى خريطة (١) وهى وعاء خاص ويسلمونها لأمين يديرها — اى يحركها — وهى فى جوف الخريطة حتى يختلط بعضها ببعض ثم يمد يده على غير هدى فيخرج قدحاً منها باسم احد اللاعبين ثم آخر باسم آخر حتى يخرج عشرة (٢) الأقداح ، فمن خرج له قدح له نصيب أخذ نصيبه ، ودفعه للفقراء الذين كانوا يلتفون حول الياسرين ، ومن خرج له قدح لا نصيب له لم يأخذ شيئاً ، وغرم اصحاب السهام التى لانصيب لها ثمن الجزور .

كل ما فيه مغالبة ورهان قمار

وقد اختلف العلماء فى المراد بالميسر فى الآية — هل هو ذلك النوع من القمار الذى كان معروفاً عند العرب أو هو كل مقامرة؟ ولكن لاخلاف بين الفقهاء فى أن كل قمار محرم الا ما اباحه الاسلام من الرهان فى السباق والرماية بشروط (٣) تأتى ترغيباً فيها استعداداً للجهاد .

---

(١) هى فى الأصل وعاء من جلد أو غيره يشد على مافيه كالجراب والكيس والمخلاة .

(٢) نظم بعضهم أسماء هذه السهام العشرة على الترتيب فقال :—

كل سهام الياسرين عشره	فاودعوها صحفا منشره
لها فروض ولها نصيب	الفذ والتوأم والرقيب
والحلس يتلوهن ثم النافس	وبعده مسبلهن السادس
ثم المعلى كاسمه المعلى	صاحبه فى الياسرين الأعلى
والوغد والسفيح والمنيح	غفل فما فيها يرى ربيح

(٣) سنذكرها عند الكلام عن السباق الآتى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

روى عن مجاهد وعطاء وابن سيرين كل شيء فيه خطر — أى مغالبة ورهان فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز ، وعن على كرم الله وجهه: النرد والشطرنج من الميسر ، والنرد هو الطاولة ، ولعل المراد اذا كان اللعب بهما على مال أو ألهيا عن ذكر الله وعن الصلاة .

الصديق يراهن قبل التحريم فيمهد الرسول للتحريم

ويشكل على هذا كله مراهنة ابى بكر رضى الله عنه لابى بن خلف بمكة على أن الروم من بعد غلبهم سيغلبون فارس فى بضع سنين ، كما اخبر القرآن (١) .

واجيب بأن هذه المراهنة كانت بمكة قبل تحريم القمار ، كما اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم والبيهقى ، لأن سورة الروم مكية ، وتحريم الخمر والميسر كان فى المدينة .

ولايخفى ماكان فى هذه المراهنة من دفع شماتة المشركين المتعصبين لوثنية فارس بالمسلمين الحادبين على الروم ، لانهم اهل كتاب ، ومامادته من اظهار اليقين بصدق ما جاء به خاتم المرسلين .

وقد مهد عليه صلاة الله وسلامه لتحريم المراهنات ، كشأن الشارع الاسلامى فى التدرج بتحريم ماألفه الناس حتى يقبل التحريم ولايشق وينفر منه ، فنهى صلى الله عليه وسلم صاحبه الصديق رضى الله عنه أن يتمول (٢) ماكسبه من هذه المراهنة لاخلاله بالمروءة وأمره أن يتصدق به .

---

(١) قال تعالى : الم ، غلبت الروم ، فى ادنى الأرض وهم من غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٢) أى يتخذه ما لا يقتنيه لنفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومن الميسر اليانصيب

ومن الميسر أوراق اليانصيب ، ومهما يقل فى منافع بعضها من أنها تبعث الناس على التبرع للأعمال الخيرية بغرض مكافأة مغرية لبعضهم من غير تعيين ، ليتسابقوا فى الاحسان فان ضررها أكثر من نفعها . لأن المولعين بشراء هذا الاروراق يمضى الدهر على أكثرهم وهم يلقون بأموالهم وارزاق عيالهم وأسرهم فى هذه الهاوية من غير أن يجتنوا من وراء ذلك شيئا بل لا يجنون الا الحسرة وخيبة الأمل .

أما التبرع للاعمال الخيرية فقدحث عليه الاسلام ورغب فيه بما هو خير من عرض الدنيا الفاني ، وأضمن من هذه المجازفات الطائشة ، والطرق الوهمية التى تعود على قليل من — الياسرين بحظ وافر من غير مقابل يناسب ما استفادوا من مال على حساب الآخرين. رغب فيه بالجنة وثواب الآخرة والآخرة خير وأبقى

ومما لاريب فيه أن النوع المعروف عند العرب من القمار اذا كان حراما مع انه لا يعود منه شيء على الغالب الا لذة اللعب والفوز بل يرجع كل مافيه من ربح الى الفقراء والمساكين كانت أنواع القمار الاخرى التى يتضح فيها أكل أموال الناس بالباطل اولى بالتحريم .

اثمه أكبر من نفعه

وقد أشار القرآن الى أن للميسر منافع فقال تعالى : يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس وأثمهما أكبر من نفعهما ، ومن منافعه هذه التوسعة على الفقراء والمحتاجين فى قمار العرب ، لأن من قمر وغلب كان لا يأكل من لحم الجزور ، لأن ذلك عيب عندهم ، وانما كان يفرق نصيبه عليهم ، وقد يقمر فى المجلس الواحد مائة بعير فتوزع عليهم ، ومنها ما يجده الرابح من السرور بالظفر والأريحية .

ومنها المساعدة على بناء المستشفيات والمدارس والملاجىء من يانصيب الجمعيات. الخيرية .

ومنها الكسب من غير كد والثراء المفاجىء الا أن هذه المنافع مهما تبلغ فهى لاتوازى ما فيه من اضرار عظمى واثم أكبر .

وقد جاء فى آيتى المائدة المتقدمتين بيان أضرار الميسر ومفاسده الاجتماعية والدينية على أسلوب القرآن الكريم فى التشريع من بيان سبب التحليل والتحريم والحكمة فيما . يحلل او يحرم ، فذكر تعالى انه رجس كأى شيء قذر ضار يأباه العقل الراجح الذى . يقضى بتجنب كل مايزيد ضرره على نفعه ،

وانه من أعمال الشيطان التى يزينها لأوليائه ويغريهم بهابما يخيل اليهم من ربح متوهم ، ويوسوس لهم أن يعكفوا عليها مع شدة اضرارها بهم واضاعتها لأموالهم وتخريبها لبيوتهم وهدمها لعائلاتهم فى طرفة عين

وأن الشيطان يريد أن يوقع بينهم العداوة والبغضاء بما يبعثه القمار من الحفيظة والحقد فى نفس المغلوب ،والحسرة على ما سلب منه بغير مقابل .

وأنه يريد أن يصدهم عن ذكر الله الذى هو روح الدين ، وعن الصلاة التى هى عماده ، وأى شيء يشغل القلب ويصرفه عن ذكر الله وعن الصلاة وكل ما سواه مثل القمار ؟ فان المقامر اذا كان غالبا انهمك فى المقامرة طمعا فى التزيد حتى لايبقى له شيء وان كان مغلوبا تهافت على اللعب طمعا فى تعويض ما فقده ثم تضعف قواه العقلية شيئا فشيئا حتى لا يكاد يتغلب على هذا الطمع الوهمى فى غير مطمع ، وهذا شر ما فى القمار ولا ينتهى من يبتلى به الى طمأنينة ورضا ولا تستقر نفسه على حال ..

ومن مضاره افساد التربية بتعويد النفس الكسل والبطالة وانتظار الرزق من الاسباب الوهمية، واضعاف القوة العقلية بترك الاعمال المفيدة فى طرق الكسب الطبيعية واهمال — المقامرين للزراعة والصناعة والتجارة التى هى أركان العمران .

وان مما يهول ويروع ويوجب اشد الاسف أن تكون هذه الجائحة الجنونية والآفة الاجتماعية متفشية بين الشبان والكهول فى النوادى والمقاهى والمنازل والطرقات، تعمل على سحق الكفاف مما يكسبه هؤلاء البؤساء ، ومحق اليسار مما اوتيه اولئك التعساء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتقذف بهم فى الوان من المصائب ، كالافلاس والدين والحاجة ، والهم والغم وتستدعى من الرذائل ما لا قبل للمجتمع به من السرقة والاحتيال والقتل والانتحار ، والسلب والنهب والتعطل والتسول ، والتفريط فى حقوق الوالدين والزوجة والاولاد : يجلس الرجل الى موائد القمار ومعه من المال ما يقيم أوده ، ويستر حاله ويحفظ عليه كرامته ، ويعول أهله ولا يلبث أن يقوم صفر اليدين ويرجع يخفى حنين ، الندم والذل والهوان حشواها به والغيظ والحقد والحفيظة ملء جوانحه.

ألا فليتق الله فى انفسهم وأسرهم وامتهم هؤلاء الطائشون الطامعون فى الكسب . ومصادفة الثراء من غير الطريق المامون بل من طريق الافلاس فى نهاية المطاف والله ، المسئول أن يتدارك البلاد من هذ الآفة المدمرة.

والانصاب : النصب بفتحتين التعب ، ومنه قوله تعالى: فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الآية ٦٢ من سورة الكهف ، والنصب بفتح فسكون وبضم فسكون وبضمتين الداء والبلاء والشر ، ومنه قوله تعالى : واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب الآية٤٣ من سورة ص ،والعلم والشىء . المنصوب يقال : اجعل هذا نصب عينيك — أى أمامك — ومنه قول الله تعالى: يوم يخرجون من الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون الآية ٤٣ من سورة المعارج .

اختلاف المعنى باختلاف القراءة

قال ابو اسحاق : من قرأ الى نصب بالفتح فمعناه الى علم منصوب يسبقون اليه . ومن قرأ الى نصب بضمتين فمعناه الاصنام ، وما عبد من دون الله من الحجارة والتماثيل والاصنام والجمع أنصاب . قيل هى من الاصنام المنصوبة التى يعبدونها لتقربهم الى الله زلفى ،وكان ابن جريج يفرق بين الأنصاب والاصنام بان الانصاب حجارة (خام) لم تنحت ، ولم تصور أو تنقش ، كانوا ينصبونها للعبادة ، ويذبحون عندها ، وكانوا اذا . ذبحوا نضحوا الدم على ما أقبل منها على البيت ، وشرحوا اللحم ونشروه عليها يقصدون بذلك تعظيم البيت الحرام والتقريب الى الاصنام .

وهى من الخرفات التى ابطلها الاسلام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وحرم ماذبح عليها فقال جل شأنه: حرمت عليكم الميتة والدم (١) ولحم الخنزير وما اهل لغير الله (٢) به والمنخنقة (٣) والموقوذة (٤) والمتردية (٥) والنطيحة (٦) وما اكل السبع الا ماذكيتم وماذبح على النصب وان تستقموا بالازلام الآية ٣ من سورة المائدة ، والنصب واحد الانصاب .

والازلام : جمع زلم بالتحريك كجمل أو زلم بضم ففتح ، وهو قدح من قداح الاستقسام (٧) وكان لهم ثلاثة قداح ، وهى قطع رقيقة من خشب مكتوب على احدها (امرنى ربى). وعلى الثانى (نهانى ربى) والثالث غفل لاشىء عليه، فاذا اراد أحدهم سفرا أو زواجا او تجارة أو غزوا أو غير ذلك أجال هذه الازلام فى الخريطة واستخرج واحدا منها فان خرج له الزلم المكتوب عليه امرنى ربى مضى لما عزم عليه ، وان خرج له المكتوب عليه نهانى ربى كف عما أراد ولم يمض اليه ، وان خرج الغفل الذى لا كتابة عليه أعاد الاستقسام

وفى بعض الروايات أن الأزلام كانت سبعة عند هبل يفصل بها فى الأمور الهامة عندهم ويتعرفون بها قسمتهم وحظوظهم وماتخبئه لهم الاقدار : على بعضها (لا) وعلى بعضها (نعم) وعلى بعضها (منكم) وعلى بعضها (من غيركم) وعلى بعضها (لصيق) . الخ سواء أكان مايراد معرفته أو ترجيحه سفرا أم غيره ، ونسبا أم غيره ، وتحملا للدية أم غيره وعلى الجملة نفيا أم اثباتاً ، خيراً أم شراً ، استد لالا على حسن أم قبح .

(١) الدم المسفوح — أى السائل لا المتجمد بطبيعته كالكبد والطحال .

(٢) ماذبح أو نحر وذكر عليه غير اسم الله تعالى ، وكانوا يهلون — أى يرفعون اصواتهم بذكر غير اسم الله من اسماء آلهتهم عند الذبح .

(٣) الشاة التى تختنق بحبلها أو بادخال رأسها فى موضع لا تستطيع التخلص منه فتختنق وتموت — وقيل كان الجاهليون يخنقون الشاة حتى اذا ما ماتت اكلوها .

(٤) وهى التى تضرب بشىء غير محدد كعصا أو حجر حتى تنحل قواها وتموت .

(٥) وهى التى تقع من مكان مرتفع كجبل أو فى منخفض كبئر فتموت .

(٦) وهى التى نطحها حيوان آخر فماتت . الا اذا ذكيت هذه المحرمات التى يتوقف حلها على تذكيتها تذكية شرعية ، وفى ذلك أقوال للمفسرين وتفصيل فى المذاهب يرجع اليه .

(٧) وهو طلب معرفة ماقسم للمستقسم غيبا فى غده ومستقبل ايامه أو ترجيح قسم مما يريد أن يقدم عليه من أعمال ومشاريع على قسم آخر منها .

(٨) والزلم ايضا السهم واحد سهام النبل .

وفى بعض الروايات أن عملية الاستقسام بالازلام كانت تتم بين يدى الكهنه ، وفى بعضها ان الرجل قد يكون له زلمان يحملهما فى رحله يرجع اليهما ليستخدمهما بنفسه فى معرفة حظه وقسمته، واختيار ما يقدم عليه أو يكف عنه من عمل .

وقال الأزهرى : الأزلام كانت لقريش فى الجاهلية يقوم لهم بها سدنة البيت الحرام وفسر مجاهد الأزلام فى الآية بكعاب (١) فارس والروم ، وسهام العرب التى يتقامرون بها .

الحكمة العامة لتحريم الاستقسام ، وحكمة تحريم بعض الانواع

والحكمة فى تحريم بعض أنواع الاستقسام بالأزلام أنه تعظيم للأصنام ، وفى تحريم بعض منها أنه طلب لمعرفة الغيب الذى استأثر الله بعلمه ، وفى تحريم بعض منها أنه افتراء على الله تعالى بقولهم أمرنى ربى أو نهانى .

والحكمة الشاملة لجميع انواعه أنه من الخرافات والأوهام الجاهلية التى لاتقوم على بحث أو نظر أو يقوم عليها برهان أو تؤيدها أثارة من علم ، ولا تليق بالعقلاء كالتطير وغيره من فساد تفكير الجاهليين ، وضعفاء العقول , وضلالاتهم التى ابطلها الأسلام

أسئلة وأجوبة عما يشبه الاستقسام

ونذكر بمناسبة الحديث عن الاستقسام بالأزلام الأجابة عما جاءنا من أسئلة المواطنين يما يمت اليه بصلة فيما يأتى اتماماً للفائدة والله الهادى والموفق .

يسألنا كثير من المواطنين عن فتح الكتاب وضرب الرمل ، وقراءة الكف ، والفنجان ورأى الدين فيها .

والجواب ان فتح الكتاب ، وضرب الرمل ، وقراءة الكف والفنجان ، وضرب القداح وهو الاستقسام بالازلام —— والطاب— وكل مايقصد به تعرف البخت أو الطالع أو الشئ المسروق أو الضالة كل ذلك من الحديث عن الغيب الذى لايعلمه إلا الله، وكان العرب فى الجاهلية يصدقون بذلك ، ويسمون كل من أخبر بشئ قبل وقوعه كاهنا أو عرافاً، وقديفرقون بينهما فيطلقون العراف على المنجم والمخبر عن الماضى والمستقبل ، ويطلقون الكاهن على من يخبر بما خفى من .

---

١) فصوص النارد — أى الطاولة — الفارسية أو الرومية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأمور الغيبية الماضية، وكانت الكهانة متفشية فيهم ، ومن كهانهم ، شق ، وسطيح وسواد بن قارب وغيرهم ، ومنهم من يدعى ادراك الغيب بفهم أعطيه ، وأمارات يستدل بها عليه ، ومنهم من يدعى معرفة ذلك بمقدمات اسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أوحاله ، وقد يخصون هذا باسم العراف ، ومنهم من كان يزعم أن له تابعاً من الجن يلقى إليه الأخبار .

خرافة شياطين الشعراء

ومن هذا القبيل خرافة شياطين الشعراء : زعموا أن الاعشى كان له شيطان يساعده على قول الشعر اسمه مسحل ، وأن الشاعر عمرو بن قطن كان له تابع من الجن يدعى جهنام ، وكانا يتهاجيان فقال الاعشى يهجوه ويفضل صاحبه على صاحبه :

دعوت خليلى مسحلا ودعوا له — جهنام جدعا للهجين المذمم

وزعم الشاعر ابو النجم العجلى — ان شياطين جميع الشعراء كانوا اناثا وأن شيطانه هو وحده كان ذكرا : قال :

انى وكل شاعر من البشر — شيطانه انثى وشيطانى ذكر

وقد أكد النقاد المحدثون أن الشعراء لايستمدون من الشياطين كما كان يعتقد العرب ، ولا من بعض الالهة كما كان يعتقد اليونان ، ولا من العرائس كما اعتقد بعض الاوروبيين القدماء ، وانما يستمدون من الاستعداد الذى فطرهم الله عليه ، والثقافة التى أخذوا انفسهم بها ،

شعراء الرسول يلهمهم الله

وإلى أن الشاعر يستمد مما طبعه الله عليه وهيأه له لا من الشياطين يشير قوله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قل وروح القدس معك ، وفى رواية أهجهم وجبريل معك رمزا لالهام الله ، وقوله صلى الله عليه وسلم لحسان وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن زهير حين كانوا يهجون المشركين منافحة عنه صلى الله عليه وسلم : انتصروا ولا تقولوا الاحقا ولا تذكروا الاباء والامهات ، ، وقوله لكعب بن مالك : إن المؤمن من يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه ، والذى نفسى بيده لكأن ماترمونهم به نضح (١) النبل ، ، .

---

(١) الرمى بالنبل أى فى شدة ايلامه لهم وعلى تشبيه توجيه الهجاء اليهم بالنضح وهو فى الأصل الرش

ولما قال كعب :

جاءت سخينة (١) كي تغالب ربها

وليغلبن مغالب الغلاب

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد مدحك الله ياكعب فى قولك هذا أى رضيه منك وسيثيبك عليه .

القرآن يسخر من تنزل الشياطين وممن يصغون اليهم

والقرآن حكى صلة الشياطين بالكهنة وسائر الافاكين ، وارهاف الافاكين سمعهم إلى الشياطين ، واصغاءهم اليهم أشد اصغاء ، وصور ذلك على الحالة التى كانوا يعتقدونها ونفى أن تكون لهم صلة بالوحي المحمدى ، فقال عز من قائل : وماتنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم ومايستطيعون ، انهم عن السمع لمعزولون الآيات ٢١٠ — ٢١٢ من سورة الشعراء .

وفرق بين محمد الامين الذى لم يعرف عنه صلى الله عليه وسلم إلا الصدق والكهنة وغيرهم من الكذابين ، وسخر من خرافة تنزل الشياطين بشئ ، ومن تتنزل عليهم من الكهنة وغيرهم ، فقال جل شأنه : هل انبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افاك اثيم ، يلقون السمع واكثرهم كاذبون الآيات ٢٢١ — ٢٢٣ من السورة نفسها .

التوحيد الخالص وتحرير العقول والنفوس من الأوهام والخرافات

فلما جاء الأسلام دين العقل والعلم ابطل كل ذلك ، ونهى عن السحر ، والتنجيم وزجر الطير والتطير والتشاؤم ، قال تعالى فى الآية (٥٩) من سورة الأنعام : «وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو » وقال تعالى فى الآية (١٨٨) من سورة الاعراف : «قل لا املك لنفسى نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ، ان انا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون» .

---

(١) لقب لقريش كانت تعير به لانها كانت تصنع الطعام المسمى سخينة : وهو طعام من دقيق وماء يشبه العصيدة الا انه دونها فى الرقة يؤكل فى الجدب وغلاء الاسعار ، وقد مازح معاوية رضى الله عنه الأحنف بن قيس فقال له : ماالشئ الملفف فى البجاد ؟! يريد قول الشاعر :

اذا ما مات ميت من تميم وسرك ان يعيش فجئ بزاد

بخبز أو بتمر أو بسمن أو الشئ الملفف فى البجاد

وهو سقاء اللبن يلف فى البجاد ، وهو كساء مخطط للأعراب ليحمى ويدرك كانت تعاب به تميم قوم الاحنف كما كانت تعاب قريش قوم معاوية بالسخينة فاجابه الأحنف على الفور : سخينة يا امير المؤمنين !! ولعل السخينة السودانية (الرشوشة) الاكلة الفقرية التى تتخذ من الماء والبصل المحمر ، وترش على الكسرة من أطوار سخينة قريش ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم دخل على عمه حمزة بن عبدالمطلب فصنعت لهم سخينة فاكلوا منها ، وفى حديث فاطمة رضى الله عنها أنها جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ببرمة فيها سخينة — أى طعام حار ، وهذا مما يشرفها ، ويباركها .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقال تعالى فى الآية ٦٥ من سورة النمل : قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله ، ومايشعرون أيان يبعثون ، وقد اخرج البخارى ومسلم والترمذى وأحمد عن عائشة رضى الله عنها تعليقاً على هذه الآية : من زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم يخبر الناس بما يكون فى غده ، وفى بعض الروايات يعلم ما فى غد فقد اعظم على الله الفرية ، والله تعالى يقول : قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب الا الله (١)

وقال تعالى : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وماأكل السبع الا ماذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ، ذلكم فسق الآية ٣ من سورة المائدة .
وروى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ، وفى رواية من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فصدقه فقد برئ مما أنزل على محمد ، ومن أتاه غير مصدق لم تقبل صلاته اربعين يوماً

ولاغرابة فى هذا فان من اهم مقاصد الإسلام صلاح حياة الناس العقلية والنفسية بالدعوة إلى التوحيد الخالص ، وكمال العلم والمعرفة وتحريرهم من ربقة الجهل ، والاوهام والخرافات .

ويسألنا بعض المواطنين عن الأحجبة ورأى الدين فى لبسها .

والجواب أن مايلبسه العامة ويسمونه بالحجاب ويجمعونه على حجبات هو من قبيل التمائم — جمع تميمة وهى فى الاصل خرزات وما يشبهها كانت تعلقها العرب على اولادها يتقون بها العين أو الارواح الشريرة فى زعمهم .

فلما جاء الاسلام أبطل ذلك روى أنه عليه الصلاة والسلام قال : من علق شيئا وكل اليه ، (٣) وروى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه أنه رأى على أم ولده تميمة مربوطة بعضدها — فى نفس المكان الذى يلبس فيه بعض المواطنين الأحجبة — فجذبها جذباً عنيفاً فقطعها .

ومن الحديث ومن هذا الذى روى عن ابن مسعود أخذ كثير من العلماء عدم جواز تعليق الأحجبة والتمائم والرقى على الأطفال وغيرهم ، وأجازها بعضهم وقال : انها

---

(١) ومصداق ذلك أنه أمر فى آية الاعراف السابقة أن يعلن أنه لا يملك نفعا ولا ضرا ولا يعم الغيب مستدلا بأنه لو كان يعلم الغيب لا ستكثر من الخير ، واحتاط من السوء واتقاه فلم يمسه لكن ذلك لم يكن .

(٢) أى تطلبوا بذلك أن تعرفوا ماقسم لكم فى المستقبل ، وقد تقدم الكلا م على الآية .

(٣) أى فى حفظه ونفعه وهو لا يحفظه ولا ينفعه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الطب الروحانى والعلاج النفسانى الذى يعترف به الآن علم الطب الحديث غير أن من أجازها من علماء المسلمين اشترطوا :—

١ — ان تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته .

٢ — وأن تكون باللغة العربية أو بما يفهم معناه لا بالطلسمات (١) التى يلجأ إليها بعض الدجالين الآن .

٣ — وأن يعتقد لابسها أنها لاتؤثر هى ولاكتابتها ولاكاتبها ، وانما المؤثر هو الله وعندى ان هذه الشروط لاتكاد تتحقق فالواجب تركها .

وان تحققت فهى علاج منهى عنه اما الرقية وهى مايقرأ على الملدوغ أو المريض ليخف الله أو يبرأ منه فهى غير منهى عنها اذا تحققت فيها الشروط ، لما ورد فيها من الحديث إلا ان الافضل تركها لمنافاتها للتوكل اخذا من قوله صلى الله عليه وسلم : فيما رواه الأئمة احمد والبخارى ومسلم وغيرهم من حديث ابن عباس وغيره مرفوعا بالفاظ مختلفة منها : يدخل الجنة من امتى سبعون الفا بغير حساب . هم الذين لايسترقون ، ولايتطيرون ولايعتافون ولايكتوون وعلى ربهم يتوكلون ، ويؤيد ذلك مارواه الأئمة : احمد فى مسنده وابوداود وابن ماجه فى المستدرك عن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الرقى والتمائم والتولة شرك قال الطيبى : المراد بالشرك اعتقاد أن ذلك سبب قوى وله تأثير وذلك ينافى التوكل والانخراط فى زمرة الذين لايسترقون ولايتطيرون وعلى ربهم يتوكلون .

ومارواه الطبرانى فى الكبير : ثلاثة من السحر : الرقى ، والتول ، والتمائم

الحصن الحصين والعلاج الناجع

والاولى ان يتحصن المسلم بتلاوة ماهو خير مما يكتب فى الاحجبة والتمائم أو هو خير مايكتب فيها ، ويفهم معناه ويتحقق باعتقاده ، ويؤكد ايمانه بان الله واحد لاشريك له لايسوق الخير الا هو ، ولايكشف السوء الا هو ولايعلم الغيب الا هو ، هو الضار النافع والخالق الرازق :— قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون (٢) ، وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وإن يردك بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم (٣) ، مايفتح الله للناس من رحمة فلا

(١) الطلسم بكسر الطاء وفتح اللام مخففة ، وبفتحها مشددة ويجمع على طلاسم وطلسمات كلمة من الدخيل ، وهى خطوط أو كتابة يستعملها السحرة يزعمون انهم يدفعون بها كل مؤذ .

(٢) الآية ٥١ من سورة التوبة .

(٣) الآية ١٠٧ من سورة يونس .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم (١) ، قل أفرأيتم ماتدعون من دون الله إن ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون (٢) ، وما من دابة في الأرض الا على رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين(٣) ، إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ، ان ربي على صراط مستقيم (٤). وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم ، وهو السميع العليم (٥) .

فباستحضار مثل هذه الآيات من كتاب الله شفاء لما في الصدور ، وباستيقانها ومناجاة الله بها تزكو النفس ، وتسمو الروح ، وتتحرر الارادة ، ويحيا القلب ويتكيف الشعور ، ويصح العقل ، وتنحل العقدلا بمجرد جعلهاحبرا على ورق ، والاعتقاد في هيكلها الجامد .

ويسالون عن اليانصيب هل هو من الميسر؟ !

اليانصيب بأوراقه التي تشبه الأوراق المالية وعلى كل ورقة منها رقمها الخاص ، وقيم الجوائز المقدرة للأوراق التي ستربح من الأولى إلى الاخيرة ، والتي جرت بعض الهيئات على اصدارها وتوزيعها على الناس بثمن معين لكل ورقة مكتوب عليها على أن يكون جزء من ثمن المبيع منها للجمعية والجزء الآخر لاصحاب الأوراق الرابحة وهم عدد قليل من دافعي المال هو من أنواع القمار المحرم مهما يكن الغرض منه ، لأن فيه عند الربح اكلا لأموال الناس بالباطل أي بغير عوض حقيقي من ذات أو منفعة ، وعند الخسارة اضاعة مال مملوك حقيقة على وجه اليقين في سبيل ربح مو هوم .

ويكاد اليانصيب الحديث يتفق مع نوع الميسر القديم الذي كانت تقارفه العرب في الجاهلية بسهام عشرة بمثابة هذه الأوراق ، يجعلون لسبعة منهانصيبا معلوما من لحم ناقة ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء ، ولايجعلون لثلاثة منها نصيبا كالأوراق الرابحة وغير الرابحة ثم يجعلون هذه السهام في كيس أو ظرف ، ويضعونها في يدي شخص منهم عدل يهز الكيس ثم يدخل يده ويخرج باسم رجل من اللاعبين سهما منها ثم باسم آخر سهما آخر

(١) الآية ٢ من سورة فاطر .
(٢) الآية ٣٨ من سورة الزمر .
(٣) الآية ٦ من سورة هود .
(٤) الآية ٥٦ من نفس السورة .
(٥) الآية ٦٠ من سورة العنكبوت .

وهكذا فمن خرج له سهم ذو نصيب أخذ نصيبه ، ومن خرج له سهم لانصيب له لم ياخذ شيئا وغرم ثمن الناقة ، وكانوا يدفعون مايربحون من لحم الناقة إلى الفقراء ولايأكلون منه شيئا ، ويفتخرون بذلك ، ويذمون من لم يشترك في هذه المقامرة ويسمونه البرم (١) فهو لغرض خيرى ايضا .

طريقة ميسر اليانصيب الحديثة

وطريقة عملية اليانصيب أن يتخذ المشرفون على ادارته قطعا صغيرة من المعدن ينقش على كل منها رقم بعدد الأوراق المعروضة للبيع ، وتوضع هذه القطع المعدنية في وعاء من المعدن كروى الشكل مثل خريطة الأزلام في الميسر القديم عند العرب ، وفي هذا الوعاء ثقب كلما ادير مرة خرجت منه قطعة من تلك القطع المرقومة المسماة بالنمر ، فاذا كان يوم السحب ادير مرات بعدد النمر الرابحة ، فما خرج منه أولا سمى النمرة الأولى مهما يكن الرقم الذى عليها ، وهى التى يعطى حاملها النصيب الاكبر من المبلغ الذى خصص للنمر الرابحة ، كالقدح المعلى في ميسر العرب قديما ، وماخرج منه ثانيا ، سمى النمرة الثانية ويعطى حاملها النصيب الذى يلى النصيب الأكبر ، كالمسبل الذى يلى نصيبه في القيمة نصيب المعلى وهكذا حتى ينتهى عدد النمر الرابحة فيقف السحب عند ذلك ويكون الباقى من النمر الخاسرة .

وواضح جدا أن في كل من العمليتين رابحا وخاسرا وجهة منتفعة ، وان الأوراق في يانصيب بمنزلة السهام في ميسر العرب ، وان كلا منهما تشتمل على منفعة ومضرة : ويظهر بقليل من التأمل أن الضرر اكثر من النفع لما يترتب على ذلك غالبا من خصومات ومنازعات قد تؤدى إلى إراقة الدماء ، ومن تزوير وغش ، وافساد للتربية والاخلاق بتعويد النفس الكسل وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، واهمال طرق الكسب الطبيعية من الزراعة والصناعة والتجارة التى عليها قوام الحياة وبقاء العمران .

وفي التبرع للاعمال الخيرية وقفا أوهبة أو صدقة مما يكون التبرع فيه لوجه الله وحده دون قصد الربح من وراء ذلك متسع ، وهو طريقة الاحسان الشرعية ، فان الله طيب لا قبل الا طيبا ، وهو اغنى الشريكين ، وقد قامت في السودان مؤسسات علمية واقتصادية وصحية على التبرعات ما قل منها أو كثر بطريق الاحسان الخالص ، كملجأ القرش ، والمدارس الاهلية ، والمصحات وغيرها فلمثل هذا فليعمل العاملون .

---

(١) وهو في اللغة البخيل اللئيم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وجاءنا السؤال الآتى من بعض المواطنين : الهيئات التى تبيع اليانصيب تجمع ثمن ماتبيعه من هذه التذاكر ثم تنفقه فى الاعمال الخيرية ، فهل يجعل ذلك الاشتراك فى اليانصيب جائزا ؟ وماحكم انفاق ماجمع من هذه التذاكر على الاعمال الخيرية ؟

والجواب :

ان انفاق الهيئات التى تبيع اليانصيب ماتجمعه من تذاكر اليانصيب فى الاعمال الخيرية لايجعل الاشتراك فى اليانصيب جائزا شرعا ، لالمن يشترى التذاكر ، ولاللهيئات التى تبيعها . وعلى الذين يجمعون أموال الناس أويكسبونها من طريق اليانصيب ان يردوها إلى اصحابها أوالى ورثتهم ان تمكنوا من ذلك ، والا تصدقوا بها عنهم ، والأعمال الخيرة من قبيل الصدقة فلا بأس بانفاق ماجمع بوجه غير شرعى عليها صدقة عن أصحابه الذين لم يمكن رده اليهم .

وجاءنا السؤال الاتى من مواطن بالأبيض لم يذكر عنوانه :

اذا كان لرجل مبلغ من المال ، وكان مصدر المال من حرام مثل القمار والسرقة طال الزمن عليه ، وتاجر الرجل بهذا المال حتى صار مبلغ سبعين جنيها ، وأراد الرجل أن يفعل بالمال خيرا مثل اطعام المساكين والفقراء ، ومع ذلك كان ولا يزال يزكيه عند مرور السنة ، ومضى على هذا الرجل عشر سنوات وهو تائب من أى عمل حرام ، فهل يحل لهذا الرجل ماله الذى كان مصدره حراما ؟

الجواب :

المال المكتسب من سرقة أوقمارأو ربا أو أية وسيلة محرمة يجب رده لأصحابه اذا كانوا أحياء معلومين ، فان لم يكونوا كذلك وجب رده لورثتهم ان عرفوا ، فان لم يعرفوا وجب التصدق به عن اصحابه .

وأما الربح الذى يستفاد من هذا المال فقد اختلف الفقهاء فيه : فقال بعضهم : هو لمن استثمره ،لأنه نتيجة عمله وجهده ، وعليه زكاته اذا توافرت شروط زكاته ، وقال بعضهم : هو لصاحب المال ، وعليه رده مع أصله لصاحبه ، وأرى أن هذا هو الأبرأ للذمة .

وأما التوبة النصوح فانها تنفع صاحبها فى تكفير ذنب الاقدام على اكتساب المال من طريق حرام ، ولكنها لا يصير بها المال المكتسب من الحرام حلالا ، كما لا يصير حلالا بمرور وقت على اكتسابه ، وان طال ، والله الهادى الى سبيل الرشاد.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أثر الاسلام فى ابطال الخرافة والأوهام

وقد أثرت هداية القرآن الكريم مع بيان السنة المطهرة فى المسلمين ، وفعلت فعلها المعجز ، فسرعان ما تأثروا وانفعلت نفوسهم وتكيفت عقولهم ، وعرفوا الحق من الباطل ، وأخذوا يسخرون من الانصاب والازلام ، والطرق بالحصى ، وضرب القداح على السرى ومن الطمع فى معرفة الغيب بالكهانة ، والعرافة والعيافة (١) وزجر الطير .

فهذا عمر رضى الله عنه يدرك بشاعة الخمر من بشاعة الاستقسام بالازلام عندما قرنت فى آية المائدة بالانصاب والازلام فيقول مخاطبا الخمر — كما قدمنا — نافرا مشمئزا : أقرنت بالانصاب والازلام بعدا لك وسحقا ؟! . .

وهذا لبيد المخضرم الذى تداركه الله فكساه من الاسلام سربالا يقول :—

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وهذا هو المعتصم العباسي ينوى غزو عمورية فيظهر نجم كبير فيحذره المنجمون من الغزو ويتشاءمون بظهوره ، فلا يعبا بخرافات المنجمين ولا بكتب التنجيم ، ويقدم على غزوها ويفتحها ، لأنه كان مؤمنا متأثرا بتعاليم الاسلام .

وفى ذلك يقول أبو تمام قصيدته المشهورة :—

السيف أصدق أنباء من الكتب فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى متونهن جلاء الشك والريب

وهذا البحترى يقول :

ذرينى من ضرب القداح على السرى فعزمى لا يثنيه نحس ولا سعد

---

(١) التطير والعيافة : زجر الطير للتشاؤم بطيرانه ان طار جهة الشمال أو التفاؤل به ان طار جهة اليمين . وبالألفاظ كقول الشاعر يتشآم على هذا النحو :

الا قد هاجنى فازددت وجدا بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن اعجمى على غصنين من غرب وبان
فكان البان ان بانت سليمى وفى الغرب اغتراب غير دان

والغرب بالتحريك نوع من الشجر ، وقد فرق بعضهم بين التطير والعيافة : بان التطير بزجر الطير ،والعيافة بالألفاظ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول آخر :

فلا السعد يقضى به المشترى ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السمـاء وقاضى القضاة تعالى وجـل

وسائل معقولة للترجيح بين أمرين عند التردد

ولما كان الانسان قد تتملكه الحيرة ، ويأخذ منه التردد كل مأخذ حين يريد أن يقدم على أمر لا يعرف هل الخير فى فعله أو تركه ، كما أوضح ذلك القائل :

ولا أدرى اذا يممت أرضـا أريد الخير أيهما يلينى ؟
أ ألخـير الـذى أنا أبتغيـه أم الشر الذى هـو يبتغينى ؟

الشـورى

فقد أرشد الله تعالى الى الوسيلة المعقولة للترجيح بين الاقدام والاحجام ، وهى الشورى وامضاء ما يترجح بها بعد تصميم العزم ، واعداد العدة ، والتوكل على الله الذى لا يتم شئ لابتوفيقه أسوة برسوله صلى الله عليه وسلم الذى أمره بذلك ، فقال عز وجل : وشاورهم فى الأمر ، فأذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين الآية ١٥٩ من سورة آل عمران

وهدته السنة المطهرة الى الوسيلة التى تليق بالمؤمن الموحد الذى لا يشرك بالله شيئا ، وهى الاستخارة الشرعية التى هى توجه الى الله تعالى بالصلاة والدعاء أن يختار له خير أمريه التجاء اليه عز جنابه ، واستجارة به وهو يجير ولا يجار عليه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويختار ولا يختار عليه ، ان يرشده الى ما هو خير له في دينه ودنياه من قصديه ، ويدفع ما هو شر ، وييسر له الخير حيث كان فيهما أو في غيرهما ، ويرضيه به .

الاستخارة الشرعية

روى الامام أحمد والشيخان وأصحاب السنن من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن ، يقول : اذا هم أحدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل : اللهم انى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسالك من فضلك العظيم ، فانك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لى في ديني ومعاشى ، وعاجل أمرى وآجله فاقدره لى ، ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لى في ديني ومعاشى ، وعاجل أمرى وآجله فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ، وأقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به . قال : ويسمى حاجته اه .

ولا مناسبة بين هذا العمل الايماني التوحيدى وبين خرافة الاستقسام بازلام ، وما اليها من الاباطيل والاوهام الجاهلية .

القرعة وخلاف الامام أبي حنيفة

وكما ان الاستخارة لا تمت الى الخرافة بصلة كذلك القرعة التي وردت بها الأحاديث وأشارت بعض آيات القرآن الى وقوعها من يونس (١) وزكريا عليهما السلام .

وهى سنة عند جمهور الفقهاء ، لأنها انما تكون الترجيح بين المتساويين قطعا كانقسمة بين اثنين حيث لاوجه لالزام من تقسم بينهما بأن يأخذ زيد منهما هذه الحصة ، وعمرو الحصة الاخرى ، فتكون القرعة في هذه الحالة عادلة معقولة تحسم الاشكال ، وترفع الظنة بمن يقسم ، ويرضى بها المقتسمان ، وتطمئن قلوبهم جميعا .

ومع ذلك فقد رفضها أبوحنيفة رضى الله عنه واصحابه ، وردوا الاحاديث التى وردت بها : وروى أن الامام أبا حنيفة وان لم تصح عنده عن طريق القياس فقد قبلها من طريق ما ورد بها من السنة المطهرة .

---

(١) قال تعالى عن يونس : فساهم فكان من المدحضين ، الآية ١٤١ من سورة الصافات وقال تعالى عن كفالة زكريا لمريم : وماكنت لديهم اذ يلقون اقلامهم أيهم يكفل مريم الآية ٤٤ من سورة آل عمران .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاذا انتكس سواد المسلمين بعد هذه العافية ، وترددوا في مهاوى الاوهام والأباطيل التى انهضهم دين العقل والعلم ، وانتشلهم منها ، واذا استهوتهم الشياطين واستعبدتهم الاهواء ، وانحرفت بهم الجهالات الى تعرف الغيب واستطلاع الطالع ومعرفة البخت والمستقبل بما يشبه الازلام من فتح الكتاب ، وضرب الرمل ، وقراءة الكف ، والفنجان ، الاستعانة فيما وراء الاسباب العادية والسنن الكونية بمن مثله مثل الكهنة والعرافين في العجز عن اعانتهم من الدجالين ، وادعياء السلطة الغيبية بعد ما حررهم من ذلك دين العقل والحرية .

واذا ذهبت بوحدتهم وتكافلهم العقائد الفاسدة ، واتبعوا السبل فتفرقت بهم عن سبيل الله ، واوقعت بينهم العداوة والبغضاء بعد ان الف بين قلوبهم ، ووحدهم دين التوحيد والوحدة ، واصبحوا بذلك حجة على الاسلام عند من لم يلم بالاسلام ، ويعرف عقائده ومقاصده ، وأحكامه وحكمه فالتقصير منهم ، والمسئولية عليهم ، والذنب ذنبهم .

ومن اراد ان يعرف الاسلام فالانصاف ان يعرفه بكتابه ، وهدى نبيه لا بسواد المسلمين وعامتهم الآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

السباق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من الرفق بالحيوان الذى اوجبته الشريعة الاسلامية الا يعذب الحيوان ، فلا يحل ارهاقه بحمل الاثقال الثقيلة التى لاطاقة له بحملها ، ولا بالسير المتواصل الى المسافات الطويلة حتى يعطب ، ولا بدفعه الى الجرى الزائد على قدرته (١) ، ولكن ابيحت المسابقة بين الخيل بعضها مع بعض أو بينها وبين الجمال أو بين الجمال بعضها مع بعض ، ومثل الخيل كل ذى حافر كالبغال والحمير ، ومثل الجمال كل ذى خف كالفيل ، لان فى المسابقة عليها مرانا على الجهاد فى سبيل الله ، والدفاع عن الاوطان ، ورد العدوان .

كما ابيح اخذ الجعل فى المسابقة ، وهى رهان ترجيحا لمنفعتها العامة التى تقتضيها وهى التدريب على الجهاد والدفاع .

والمسابقة عند المالكية والشافعية تكون واجبة ان توقف عليها الجهاد والدفاع عن الدين والبلاد ، وتكون مندوبة ان توقفت عليها البراعة فى الجهاد ، وتباح ان لم يتوقف عليها شئ من ذلك .

شروط المسابقة المباحة

وقد اشترط فى المسابقة أن يكون السبق (بفتح السين والباء) وهو الجائزة التى تكون لصاحب الفرس السابق اما من الامام (رئيس الدولة) أو من متبرع به غير المتسابقين ، وفى هذه الحالة لا خلاف بين الفقهاء فى جوازها ، واما من احد المتسابقين على أنه أن سبقه غيره أخذ السابق الجعل ، والا يسبقه غيره فالجعل لمن حضروا ، ولا يرجع اليه عند المالكية . وقد أجازها فى هذه الحالة جمهور الفقهاء لعدم شبهها بالقمار ومنعها بعضهم .

فان اخرج كل من المتسابقين مالا معينا يأخذه من يسبق منهما فلا تجوز ، لأنها تكون قماراً حينئذ الا اذا دخل معهما شخص ثالث فى المسابقة ، ويسمى محللا فانها تجوز ثم ان سبقهما المحلل اخذ العوض الذى اخرجاه ، اما اذا سبقاه فانه لايعطيهما شيئا ، ولاشئ فى هذه الحالة لاحدهما على الآخر ان لم يسبق أحدهما الاخر ، فان سبق احدهما فمال السابق لنفسه ، ويأخذ ما اخرجه الاخر عند الشافعية ، ومنعه آخرون .

(١) وحتى فيما اقتضته حكمة الله تعالى البالغة من مفاضلة بين مراتب الحياة فى الا نسان والحيوان والنبات وتسخير النبات للحيوان والأنسان غذاء ، وتسخير الحيوان للا نسان غذاء أمرت الشريعة بالرفق به فى الذبح ، فقال صلى الله عليه وسلم : ان الله كتب الاحسان فى كل شئ ، فاذا قتلتم فاحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كما اشترط ان تكون المسابقة معروفة الابتداء والانتهاء، وأن يكون عند اول المسافة من يشاهد بدء الجرى في وقت واحد ، وعند الغاية من يضبط السابق منهما ، لئلا يختلف في ذلك ، وان تكون المسافة معلومة ، والجائزة معلومة ، والفرسان او الافراس معينة وان يكون كل من الفرسين اوالافراس يحتمل ان يسبق والا يسبق ، وهذا متوفر فى سباق الخيل المتعارف الآن .

ومن دقة السلف فى الحكم بالسبق انهم يبنونه فى الابل على السبق بالاكتاف لا بالاعناق لأنها ترفع اعناقها عند الجرى فلا يتضح السبق بها ،وكذلك يبنونه في مختلف الأعناق كالخيل مع الجمال على السبق بالاكتاف ، أما فى متماثل الاعناق كالخيل مع الخيل فيبنونه على السبق بالرءوس ، وهذا فى المتلاحقين أما اذا كانت المسافة بينهما واسعة فيعرف السبق من غير حاجة الى ذلك .

الرسول يسابق فيسبق ويسبق (١)

روى الامام احمد عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم سابق بالخيل وراهن ، وفى رواية سابق بالخيل واعطى السابق ، وفى رواية سابق بين الخيل المضمرة (٢) ، وروى من حديث انس – وقد قيل له : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن ؟؟ انه قال : نعم والله لقد راهن على فرس يقال له : سبحة فسبق الناس فبهش أى هش وفرح لذلك واعجبه .

(١) وسيأتى ذلك صريحا فى حديث عائشة رضى الله عنها عن مسابقته صلى الله عليه وسلم ايضا فى العدو .

(٢) ضمر الفرس تعهد علفه حتى صيره ضامرا هضيم البطن لطيف الجسم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصح انه صلى الله عليه وسلم كان يسابق على ناقته العضباء(١) وكانت لاتسبق وقد سبقت مرة فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا: سبقت العضباء!! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسماحته فى كل شئ ، وسماحته الرياضية: ان حقاً على الله الا يرفع شيئاً من الدنيا الا وضعه.

وروى الشافعى وأحمد وأصحاب السنن من طرق عن ابى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لاسبق الا فى خف أو حافر أو نصل، والمراد بالنصل السهم عبر عن السهم بحديدته الجارحة ، لأنها أهم شئ فيه ، المسمى (الشيش)

الرسول يقر المبارزة

وقد أقر صلى الله عليه وسلم (٢)المبارزة . فعن ابى هريرة رضى الله عنه قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبى صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر فأهوى الى الحصباء فحصبهم بها !! فقال صلى الله عليه وسلم : دعهم ياعمر.
ويفسر آية القوة وينوه بما للرمى من شأن

ويقاس على الرمى بالسهام فى هذا العصر الرمى برصاص البنادق والمسدسات ، وقذائف المدافع والصواريخ وغيرها ، فهو مأمور بتعلمه مثل ما لتعلم الرمى بالسهام

من الفضل والجزاء الحسن بل هو من إعداد القوة الداخل فى عموم قوله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم ، وماتنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لاتظلمون. (الآية ٦٠) من سورة الأنفال . أى حتى لايطمعوا فيكم ويستضعفوكم فيعتدوا عليكم.

وقد كان اعداء الله وأعداؤهم يتحرشون ويتربصون بهم الدوائر ، ويعنى هذا مايسمى بالسلام المسلح فى عصرنا الحاضر ،وقد فسر صلى الله عليه وسلم القوة بالرمى فقال مؤكدا: الا ان القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى ، الا أن القوة الرمى

وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ، لأن التطور فى آلات الجهاد الذى بلغ حد الهول الهائل كان فى وسائل الرمى وما يرمى به ، وقد مر صلى الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق (٣) فقال : ارموا يابنى اسماعيل فان أباكم كان رامياً ، ارموا

(١) الناقةالعضباء : المشقوقة الأذن ولم تكن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشقوقة الأذن ولكن لقبها هكذا العضباء والاسماء لا تعلل .

(٢) المبارزة والبراز الخروج للقتال والمراداللعب بالحراب .

(٣) النضال والمناضلة والتناضل والانتضال المباراة والمغالبة فى الرمى بالسهام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأنا مع بني فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم ، فقال لهم الرسول : مالكم لاترمون ؟ قالوا : كيف نرمي وأنت معهم ؟ فقال : ارموا وأنا معكم جميعاً ..

وخلاصة معنى هذه الآية العظيمة التى نعيشه مع اسرائيل ومن وراءها ان الله سبحانه وتعالى كان ولايزال يأمر المسلمين أن يستعدوا للحرب التى لا مندوحة منها مع اعدائه وأعداء الإسلام والمسلمين لدفع عدوانهم بشيئين ، (١) الأول اعداد جميع أسباب القوة التى يستطيعون الحصول عليها مهما تختلف باختلاف العصور وتطوير العتاد الحربى بتقدم العلوم المادية وقوة الأعداء

(٢) والثانى اليقظة الدائمة والاحتياط الواعى بمرابطة الجنود فى الثغور وعلى حدود البلاد وجبهات القتال وأيديهم على السلاح فرسانا على الخيل أو ركبانا على الدبابات والطائرات والأساطيل أو مشاة لارهاب أعداء الله وأعدائهم المجاهرين بعداوتهم ، ومن وراءهم ممن يعادونهم فى الخفاء ويتسترون بالمكر والخديعة الذين لا يعلمونهم ولكن الله يعلمهم ويعلم اساليبهم فى إعانتهم ونصرتهم ، ويعلم اعداء آخرين لانعلمهم : ويرشدنا إلى التأهب لمواجهة هؤلاء واولئك جميعاً ويعدنا بأن كل ما ننفق فى سبيل ذلك من نفس ومال نعطاه وافياً غير منقوص هو مولانا ونعم النصير .

الآية تفتح الباب لكل رياضة تكسب القوة والمنعة

وقد أجاز الفقهاء بوحى من هذه الآية ، وهذا الروح المسابقة بغير عوض بكل نافع فى الحرب ، وكل مايفيد القوة فيها ، والاستعداد لها ، فيجوز بالسفن الشراعية والزوارق ، ، والسفن البخارية ، والأساطيل ، والغواصات ، والطائرات والمناطيد والدبابات ، والسيارات ، والجرى على الأقدام .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان يرى أصحابه يتسابقون جرياً على الأقدام فيقرهم عليه ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : سابقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته ثم سابقنى فسبقنى ، فقال : هذه بتلك ! ! .

وقد استدل العلماء بذلك على مشروعية المسابقة بين الرجال ، وبين النساء والرجال المحارم فى رياضة الجرى ، وعلى أنها لاتنافى الوقار ولاشرف العلم والفضل ولاتتقيد بالسن : وحسبكم جلالة قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسابقته لعائشة أم المؤمنين وهو فوق الخمسين سنة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بل أجاز هذا الشافعية بعوض أيضا لانه من الرياضة البدنية المقوية على القتال وغيره من الأعمال الشاقة التى تستلزم الشجاعة ، واجازوا المصارعة .

روى أن النبى صلى الله عليه وسلم صارع رجلا معروفا بالقوة فصرعه النبى صلى الله عليهو سلم ، فقال : عاودنى فى أخرى فصرعه النبى صلى اللهعليه وسلم فىالثانية ، فقال : عاودنى فصرعه النبى صلىالله عليه وسلم الثالثة — وظن الرجل أن النبى صلى الله عليه وسلم سيأخذ العوض منغنمه فقال : ماذا أقول لأهلى ؟ شاة أكلها الذئب ، وشاة نشزت فماذا أقول فى الثالثة ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك ونغرمك ، خذ غنمك .

الدربى حكمه وأضراره

وأما سباق الخيل المتعارف الان — الدربى وغيره — الذى يرتاده هواته ويشتركون فيه بشراء أوراق كأوراق اليانصيب يتراهنون بها على الذى يسبق من خيل السباق ، تربح هذه الأوراق تارة وتخسر تارات فسباق الخيل فى ذاته لا شئ فيه بل هو شئ حسن ، ولكن المراهنة على الخيول ضرب من ضروب القمار المحرم يشترك مع سائر انواع القمار فى أكل اموال الناس بالباطل عند الربح ، واضاعة المال المملوك حقيقة فى سبيل الربح الموهوم عند الخسارة ، وافساد التربية والاخلاق بتعويد النفس الكسل ، وانتظار الرزق من الطرق الوهمية ، والانصراف عن العمل النافع ، وغير ذلك من مفاسد القمار ، وكذلك الجوائز التى يأخذها أصحاب الخيول الرابحة فى هذا النوع من السباق حرام . لأنها تعطى من أرباح القمار ، ولولا ذلك لحلت كما فى السباق الجائز شرعاً .

فيا حبذا لو سلكنا بهذه الرياضة العظيمة النفع فى ذاتها المسلك الشرعى وطهرناها من الملابسات المحرمة . والله الموفق ،،

ولنختم الحديث عن الميسر والانصاب والازلام واليانصيب وسباق الخيل . بتفسير الآية الكريمة الآتية العامة فى النهى عن اكل اموال الناس بدون مقابل شئ حقيقى يعتد به او رضا منهمسواء أكان فى هذه المعاملات الفاسدة المحظورة أم غيرها ، والتى تنهى ان يكسب الانسان المال من الطرق غير المشروعة التى تضر بغيره كما انه منهى ان ينفقه فى غير وجهه الصحيح النافع الذى لايضر به ، ولا بمن يعول ، ولا بمجتمعه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال تعالى : ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وانتم تعلمـــون (الآية ١٨٨ من سورة البقرة) .

كانت الآيات السابقة في الاحكام العملية ، واحكام الصيام ، وفيها النهى عـن أكل الانسان مال نفسه في وقت دون وقت ، وقد اشار تعالى الى تلك الاحكام ، وسماها حدودا ، ونهى عن قربها ثم قال تعالى :

ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الآية : — فنهى عن أكل الانسان مال غيره بغير حق ، والمراد بالاكل المنهى عنه مطلق الاخذ ، والتعبير عن الاخذ بالأكل مجاز معروف في اللغة ، مألوف للمخاطبين قبل نزول القرآن وبعده الى اليوم ، ووجه هذا المجاز ان الأكل لتقويم البنية اهم حاجات الناس الى أخذ المال ، وأشدها وأعظمها ، فتجوز به عنه ، وأكثر مايستعمل أكل المال في مقام أخذه بالباطل ، وقد يستعمل في غيره ، وفي الآيـة الآتيـة الاستعمالان : وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ، ومن كان غنيا فليستعفف ، ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ، الآية ٦ من سورة النساء .

والمراد لايأكل بعضكم مال بعض ، وانما اختير لفظ اموالكم للاشعار بتكافل الأمة ووحدتها الاقتصادية وغيرها ، وللتنبيه على ان احترام الانسان مال غيره وحفظه فيه احترام وحفظ لماله ، لأن استحلال مال غيره يجرئ غيره على استحلال اكل مالـه عند الاستطاعة ، ويذهب بحرمته ، ويحمل على استباحته .

معنى الباطل وانواعه : — وأما الباطل فهو مالم يكن في مقابله شئ حقيقي ، وهو من البطلان بمعنى الضياع والخسارة ، وقد حرمت الشريعة الاسلامية اخذ الانسان مـال غيره بدون مقابل حقيقي يعتد به ، أو رضا ممن يأخذ منه ، كما حرمت انفاق الانسان ماله ، في غير وجه حقيقي نافـــع .

ويدخل في الأول الربا ، لأنه أكل اموال الناس بدون مقابل ، وتدخل السرقة والغصب ، سواء أكان غصبا لمال أم لمنفعـة ، ومن اعظم ذلك أن يستأجر الانسان عاملا في عمل لايعطيه عليه اجرا أو ينقصه عن الاجر المسمى المتفق عليه بينهمـــا أو من أجر مثلـه .

روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ثلاثة — قال الله تعالى : أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته : رجل

أعطى بى ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه) .

ويدخل فيه الغش والاحتيال ومايفعله بعض البائعين من ايهام المشترى مالا حقيقة له ترويجاً لسلعته بحيث لوعرف المشترى الحقيقة مااشترى ، ومايفعله السماسرة من التلبيس والتدليس حيث يزينون للناس السلع الرديئة والبضائع المزجاة فيورطونهم بذلك وبالايمان الفاجرة فى شرائها ، روى الإمام أحمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولاينظر اليهم ، ولا يزكيهم ،ولهم عذاب اليم : : المسيل (١)ازاره، والمنان الذىلا يعطىشيئاً الامنه ،والمنفق سلعتهبالحلف الكاذب

ويدخل فيه ايضا بيع التولات جمع تولة(٢) وهىماتحمله المرأة ليحبها زوجها، وبيع التمائم ، والعزائم والتناجيس (٣) وهى مايحمل للوقاية من العين أولانفاق التجارة ، أو لكسب القبول من الناس أو للحفاظ من الشياطين ، من الخرز والعروق والعظام وخرقة الحائض ونحو ذلك من العزائم والبخرات (وعدية يس) لقضاء الحاجات أو لرحمة الاموات، وعلى الجملة كل أجر يؤخذ على أداء عبادة فهوأكل لاموال الناس بالباطل لم يعرف عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الذين أتبعوهم ولا يوجد فى كلامهم ما يشعر به، وقد فرق بعض الفقهاء بين قراءة القرآن وتعليمها فأجاز الأجرة على تعليمه كتعليم العلم حتى يفرغ لذلك معلم القرآن عن الاشتغال بغيره فيتقنه ويجد ما يقيمأ وده

ويدخل فيه أخذ الغنى أو القادرعلى الكسب الصدقة ، كما يفعلمحترفو التسول فلايحل لمسلم أن يقبل صدقة وهو غير مضطر اليها ، ولا للمضطر اليها أن يقبلها الاإذا كان عاجزاً عن إزالة اضطراره بسعيه وكسبه، قال صلى الله عليه وسلم، (لاتجوز الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى) (٤) .

---

(١) المرخى ثوبه المطيله .

(٢) كهمة وعنبة وزنا وهى ن خرز ، ولعل التيلة التى تلبسها المرأة عندنا للزينة فى عنقها تحريف لهذه الكلمة والزينة سبب معقول لحب الزوج لا سحرى وهمى .

(٣) جمع تنجيس من نجسه اذ اعوذه : قال ثعلب قلت لا بن الا عرابى : لم قيل للمعوذ منجس وهو مأخوذ من النجاسة؟ فقال : ان للعرب افعالا تخالف معانيها الفاظها يقال فلا ن تنجس اذا فعل فعلا يخرج به من النجاسة كما قيل يتأثم ويتحرج ويتحنث اذا فعل فعلا يخرج به من الا ثم والحرج والحنث .

(٤) قوى سليم الا عضاء .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويدخل فيه أخيراً وليس آخرا الرشوة بتثليث الراء ، والجمع رشا ورشا بضم الراء وكسرها ، وهى مايعطى لابطال حق أو احقاق باطل ، من الرشا بكسر الراء وهو الحبل الذى يتوصل به إلى غرض من الأغراض أو حبل الدلو خاصة الذى يتوصل به إلى ماء البئر كأنها حبل وسبب يتوصل به إلى ذلك : قال الامام ابوبكر الجصاص عند تفسير قوله تعالى : سماعون للكذب اكالون للسحت فى كتابه أحكام القرآن : . اتفق جميع المتأولين لهذه الآية على ان قبول الرشا حرام ، واتفقوا على أنه من السحت الذى حرمه الله تعالى اه وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام :—

الأول مايحرم على الآخذ والدافع والوسيط ان وجد جميعا ، وهو الرشوة على تقليد الوظائف العامة فى الدولة كالقضاء والامارة وسائر الوظائف الحكومية ، ويدخل فى هذا النوع مايدفع للقضاة والحكام ليحكموا للدافع ،وهو واضح من قوله تعالى : ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقامن اموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون روى الامام احمد عن عبدالله بن عمرو وابى هريرة رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشى والمرتشى والرائش اه والرائش هو الذى يمشى بينهما .

الثانى مايحرم على الآخذ دون الدافع وهو مايدفعه الشخص لشخص يتفادى به ظلمه سواء كان الظلم فى الدين أم فى النفس أم فى المال أم فى العرض ولاسبيل له إلى ذلك الا بهذا روى عن الشعبى وجابر بن زيد قالا : لابأس أن يصانع الرجل عن نفسه وماله اذا خاف الظلم .

الثالث مايدفعه الشخص إلى شخص له عند ولى الامر جاه ومنزلة ليعينه على قضاء حاجة له عنده يعجز عن قضائها عند ولى الامر بنفسه ، وقد اختلف الفقهاء فى حل هذا فذهب بعضهم إلى عدم حل اخذ هذا المال إلى صاحب الجاه ، وحل دفعه من صاحب الحاجة اذا كان مضطرا إلى هذا ، وليس له سبيل آخر للوصول إلى الحاجة غير هذا الطريق قال ابن خويز منداد : من السحت أن ياكل الرجل بجاهه ، وذهب بعضهم إلى عدم حرمة ذلك على صاحب الجاه اذا كانت الحاجة التى يتوسط فيها مباحة اما اذا كانت الحاجة حراما فما يأخذه حرام .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نوع خصص بالذكر من أنواع الباطل لخطورته

ولما كانت حيل الدجالين واللصوص والغشاشين لاتقف عند حد ولا تقع تحت حصر ، وكان الباطل من الأمور المعروفة للناس ، مهما تعددت وجوهه واختلفت اثوابه أجمل فى الآية ، ولم يبين منه الا نوع خطر قد أولع الناس به، فى زماننا هـذا مع دخوله فيما تقدم، وهو استحلال أموال الناس بحكم الحكام اذ ربما ظن الناس ان الحاكم اذا حكم بمال ، ولو بغير حق أحل ذلك أكله ، ولم يكن أكله باطلا ، فقال عز من قائل : وتدلوا بها الى الحكام .

والادلاء الالقاء وهو فى الأصل القاء الدلو ، وأختير هذا التعبير ، لأنه يشعر بعدم الروية ، أى ولا تلقوا بها الى الحكام رشوة لهم ، أو ولا تلقوا بالحكومة فى الاموا الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم .

والفريق من الشئ الجملة والطائفة منه .

والاثم فسره بعضهم بشهادة الزور،وبعضهم باليمين الفاجرة ،واحتج لهذا بسبب النزول ، وهو ما أخرجه ابن أبى حاتم من مراسيل سعيد بن جبير : ان عبدالله بن اشوع الحضرمى ، وأمرأ القيس بن عابس اختصما فى ارض ، ولم تكن بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يحلف أمرؤ القيس فهم بالحلف .

والمختار ان المراد بالاثم ما يوجبه وهو اعم من ذلك ، والمراد بالعلم فى قوله تعالى وانتم تعلمون ما يشمل الظن .

والتقييد بذلك يفيد : ان المحكوم له بالباطل يكون معذورا اذا لم يعلم ذلك ، وأكل معتقدا انه صاحب الحق لشبهة عرضت له .

وجملة القول ان الآية الكريمة نهت عن أخذ أموال الناس بغير مقابل ورضا منهم كيف ما كانت الوسيلة الى ذلك ، وبينت ان الاستعانة بالحكام على ذلك حرام بوجه خاص ابطالا لتوهم من يتوهم ان حكم الحاكم بشئ يحله للمحكوم له ، وان لم يكن له فى الواقع .

حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يحل حراما

ولهذا ولما رواه مالك ، وأحمد ، والشيخان ، وأصحاب السنن عن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : انما أنا بشر وانكم تختصمو ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له بنحو ما أسمع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قضيت له من حق أخيه شيئا فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار (١) ذهب جمهور الفقهاء الى ان حكم الحاكم يرفع الخلاف ولا يحل حراما : منهم الائمة الثلاثة مالك واحمد والشافعى وصاحبا أبى حنيفة ، ووافقهم أبو حنيفة فى الحكم بالاموال وخالفهم فى الحكم بنحو الطلاق ، وعقد النكاح أوفسخه فعنده ينفذ ظاهرا وباطنا وان كان الشهود زورا .

وقد نقل النووى فى شرح مسلم ان الشافعى حكى الاجماع ، على ان حكم الحاكم لا يحل الحرام ، فهل يعتبر بالآية الكريمة والحديث الشريف الذين يستمرئون التقاضى والخصام ، والادلاء بقضاياهم الى الحكام ، اعتمادا على خلابة القول ولحن الخطاب ، ليأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وهم يعلمون ؟ وهل يتعظ به المحامون فلا يقبلوا الدفاع الا عن القضايا التى يقطعون أن الحق مع أصحابها ،ولا يصروا على محاولة كسبها اذا ظهر لهم بطلانها فى اثناء التقاضى

وهل يتأدب المسلمون بآداب الكتاب العزيز والسنة المطهرة ، ويهتدون بهديهما فيتحروا الحلال من الكسب ، ويتركوا ما يريبهم الى ما لا يريبهم ، فقد قال صلى

الله عليه وسلم فيما رواه الطبرانى عن ابن عباس : يا سعد بن ابى وقاص استطب مطعمك وشرابك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده ان العبد ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوما ، وايما عبد نبت لحمه من سحت فالنار اولى به صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) روى ان الخصمين بكيا ، وقال كل واحد منهما : انا حل لصاحبى فقال عليه الصلاة والسلام : اذهبا فتوخيا أى اقصدا الحق — ثم استهما أى اقترعا ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه أى ليأخذ كل منكما ماتخرجه القرعة وقوله صلى الله عليه وسلم الحن بحجته أى اقدر على اقامة حجته من صاحبه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الوحدة الاسلامية


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدعوة الى الوحدة الإسلامية (١)

فى القرآن الكريم والسنة المطهرة

جاء الاسلام والناس فرق : فرقت بينهم اللغات والأديان، والأنساب والالوان والشعوبية والقبلية ، والمذاهب والمشارب من الصفات المكتسبة وغير المكتسبة فكانت صيحة الاصلاح المدوية التى ارتفع بها صوت الاسلام فى ذلك هى النهى عن التفرق والتعادى ، والدعوة الى الاجتماع على ملة التوحيد ، ودين الاسلام الذى يمكن ان يحقق للناس جميعا وحدة متجانسة العناصر ، موحدة الميول والأهداف قائمة على جامعة مشتركة ، قال تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا — الآية ١٠٣ من سورة آل عمران — وقال تعالى : واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين الآية ٤٦ من سورة الأنفال — .

ففى الاسلام علاج شاف من التفرق بحسب الاختلاف فى الصفات الطبيعية وغير المكتسبة وهو اعتبار وحدة الشعور والدين ، والاكتفاء بذلك فى وحدة الامة، وقد أخذ بذلك فقهاء القانون الدولى الآن فى تحديد معنى الأمة بانها جماعة من الناس تشعر بشعور واحد مهما اختلفت عناصرهم وتباينت صفاتهم الأخرى : فنهى الاسلام عن التفرق والتعادى لاختلاف الأجناس والشعوب والقبائل والألسنة والألوان ، لأن الناس مهما اختلفت أجناسهم وشعوبهم فكلهم من أصل واحد ، وجعل معيار التفاضل والتفاوت فى الكرامة عند الله تعالى التقوى والعمل الصالح

---

(١) لا تظن ايها القارئ الفاضل أن الدعوة إلى الوحدة الإسلامية تنافى الدعوة إلى الوحدة العربية أو غيرها من وحدات شعوب الأمة الإسلامية كلا بل هى الوحدة الكبرى والوحدة الأم التى لا تتم إلا إذا إنتظمت شعوبها جميعاً وهى متحدة فيما بينها بل ولا تتعارض مع الروابط الوطنية فى البلاد التى تتعدد فيها الأديان أو يوجد بها أقليات غير مسلمة ، وفى تاريخ المسلمين الطويل وواقع حياتهم الاجتماعية أوضح دليل على هذا ، وإلى طلب هذا التعايش الاجتماعى السلمى المتفاهم المتوافق على تنوع وحداته تشير آية الحجرات الآتية : ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، وتحفز إلى التقوى باعتبارها معيار التفاضل وحدها لا غير .

(٢) على شدائد الحرب ، وليصبر بعضكم على بعض عند مخالفته فى رأيه لئلا يؤدى ذلك إلى النزاع فى شئون الحرب وهى حساسة يجر النزاع فيها إلى الفشل والضعف والهزيمة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد وصف تعالى هذا الدواء فأشار الى وحدة الدين وما تستتبعه من وحدة الجما فقال جل ثناؤه من سورة الأنبياء بعد أن ذكر شيئا من قصصهم يخاطب الناس قاطبة : ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون (الآية ٩٢) .

وبين تعالى في سورة المؤمنون انه خاطب جميع الرسل بذلك داعيا الى الاجتماع على ملة التوحيد التي تجمع الأمم وتوحدها، فقال عز من قائل : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بماتعملون عليم(١) وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأتقون الآية ٥١ـ٥٢ وأشار تعالى الى أن اختلاف الشعوب والقبائل ، واختلاف الالوان واللغات لا ينافي الوحدة ، ولا يقتضي التفرق والتعصب ، ولا التفاضل والتفاخر ، بل غايته أن يكون وسيلة للتعارف ، فقال عز من قائل : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ـ الآية ١٣ من سورة الحجرات. وقال تعالى : ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ، ان فى ذلك لآيات للعالمين ـ الآية ٢٢ من سورة الروم ـ وبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فقال : أيها الناس ان ربكم واحد ، وان أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربى على أعجمى ولا لابيض على أسود فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ اللهم أشهد ـ فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، وقال صلى الله عليه وسلم ـ ان الله لاينظر الى صوركم وأجسادكم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم.

فأثمرت هذه الدعوة الصالحة الواضحة أطيب الثمرات ، وألفت من العربى والفارسي والحبشي والرومي وغيرهم أمة واحدة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وكالبنيان المرصوص

---

(١) قرى لابى عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون على تقدير حرف الجر اى ولأن هذه امتكم والجار والمجرور متعلق باتقون وبها يقرأ معظم السودانيين ، وقرى بالكسر وتشديد النون على الاستئناف والعطف على انى بما تعملون عليم وهذه على القراءتين فى موضع نصب اسم أن وأمتكم خبرها كما قرى بفتح الهمزة وتخفيف النون على تقدير اللام أيضا وأن هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف وهذه مبتدأ وأمتكم خبره والجملة خبر أن والجار والمجرور متعلق باتقون أيضا وأما أمة واحدة فهى على القراءات الثلاثة منصوبة على الحال من الخبر وواحدة صفتها والآيات تشير الى الوحدة الانسانية فضلا على الوحدة الاسلامية ، وأن الرسل تتابعوا على امة واحدة كل الى قومه منها واختلفت شرائعهم فى الفروع وفق مايناسب تدرج العقل البشرى فى الكمال حتى اذا استعدت الانسانية الى الكمال الذي اراده الله تعالى ارسل خاتم الرسل بالشريعة الخاتمة الخالدة .

يشد بعضه بعضا ، وقد قام الامامان : جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبده في مطلع القرن الرابع عشر الهجري يبحثان أسباب ضعف المسلمين ، ووسائل نهضتهم وقوتهم ، فاستبان لهما أنه كما كان من أقوى أسباب الانهيار والضعف التخاذل والفرقة(١) يكون جماع عوامل النهوض والقوة التناصر والوحدة ، ووازنا بين العصبية الجنسية والوحدة الاسلامية وبينا أن ما يدفع الى العصبية الجنسية هو ضرورة الدفاع عن النفس ، والحرص على حمايتها من العدوان عليها ، وأوضحا كيف أن الوحدة الاسلامية تزيل تلك الضرورة ، وتكفل هذه الحماية، قالا(٢): فلو زالت الضرورة لهذا النوع من العصبية تبع هو الضرورة في الزوال كما تبعها في الحدوث بلا ريب،وتبطل الضرورة بالاعتماد على حاكم تتصاغر لديه القوى وتتضائل لعظمته القدر،وتخضع لسلطته النفوس بالطبع،وتكون بالنسبة اليه متساوية الاقدام وهو مبدئ الكل،وقهار السموات والأرض ثم يكون القائم من قبله بتنفيذ أحكامه مساهما للكافة في الاستكانة والرضوخ لأحكام أحكم الحاكمين،فاذا أذعنت الأنفس بوجود الحاكم الأعلى وأيقنت بمشاركة القيم على أحكامه لعامتهم في التطامن لما أمر به اطمأنت في حفظ الحق،ودفع الشر الى صاحب هذه السلطة المقدسة، واستغنت عن عصبية الجنس لعدم الحاجة اليها ، فيمحى أثرها من النفوس والحكم لله العلي الكبير .

وتابعا الحديث قائلين : —

هذا هو السر في اعراض المسلمين على اختلاف اقطارهم عن اعتبار الجنسيات ورفضهم أي نوع من أنواع العصبات ماعدا عصبيتهم الاسلامية،فان المتدين بالدين الاسلامي متى رسخ فيه اعتقاده يلهو عن جنسه وشعبه، ويلتفت عن الرابطة الخاصة الى العلاقة العامة وهي علاقة المعتقد .

---

(١) بينا في صفحة (٢١٠)من العروة الوثقى الطبعة التي تصدرها مجلة منبر الإسلام تحت عنوان : واعتصموا بحبل الله – الآية مبدأ هذا الانحلال والضعف فقالا : بدأ هذا الانحلال والضعف في روابط الملة الإسلامية عند انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة وقتما قنع الخلفاء العباسيون(اي وبعض من قبلهم من الأمويين) باسم الخلافة دون أن يحرزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتهاد في أصوله وفروعه ، كما كان الراشدون رضي الله عنهم .

(٢) صفحة (٨٣) من العروة الوثقى نفس الطبعة . تحت عنوان (الجنسية والديانة الإسلامية) .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لان الدين الاسلامي لم تكن أصوله قاصرة على دعوة الخلق الى الحق وملاحظة أحوال النفوس من جهة كونها روحانية مطلوبة من هذا العالم الأدنى الى عالم أعلى بل كما كانت كافلة لهذا جاءت وافية بوضع حدود المعاملات بين العباد ، وبيان الحقوق كليها وجزئيها وتحديد السلطة الوازعة التي تقوم بتنفيذ المشروعات ، واقامة الحدود وتعيين شروطها حتى لا يكون القابض على زمامها الا من أشد الناس خضوعا لها ، ولن ينالها بوراثة ولا امتياز في جنس أو قبيلة أو قوة بدنية وثروة مالية ، وانما ينالها بالوقوف عند أحكام الشريعة ، والقدرة على تنفيذها ، ورضاء الأمة . فيكون وازع المسلمين في الحقيقة شريعتهم المقدسة الالهية التي لا تميز بين جنس وجنس ، واجتماع آراء الأمة ، وليس للوازع أدنى امتياز عنهم الا بكونه أحرصهم على حفظ الشريعة والدفع عنها .

وكل فخار تكسبه الأنساب ، وكل امتياز تفيده الأحساب لم يجعل له الشارع أثرا في وقاية الحقوق ، وحماية الأرواح والأموال والأعراض بل كل رابطة سوى رابطة الشريعة الحقة فهي ممقوتة على لسان الشارع ، والمعتقد عليها مذموم ، والمتعصب لها ملوم فقد قال صلى الله عليه وسلم : ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية . والأحاديث النبوية والآيات المنزلة متضافرة على هذا ، ولكن يمتاز بالكرامة والاحترام من يفوق الكافة في التقوى (اتباع الشريعة) ان أكرمكم عند الله أتقاكم . اهـ

ولم يقف الاسلام بالدعوة الى وحدة المسلمين عند عدم اعتبار الاختلاف في الصفات الطبيعية ، والا يقيموا أي وزن للاختلاف في الصفات غير المكتسبة بل رمى من طريق مباشر وغير مباشر الى توثيق وحدة المسلمين بأكثر من هذا ، ومشى خطوات أوسع في ذلك لعلهم يمشونها ، فدعا الى العمل على ازالة ما يمكن ازالته من هذه الفروق : أمر بتعلم اللغة العربية ، وجعلها لغة التدين ، والتشريع والحكم ، فقال صلى الله عليه وسلم : تعلموا العربية وعلموها الناس فأنها لسان أهل الجنة ، وقال : ان الله لا يسمع دعاء ملحونا وقال : أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن .

وبناء على هذا قال الامام الشافعي رضى الله عنه في رسالته في أصول الفقه : فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك .

وما ازداد من العلم باللسان الذى جعله الله لسان من ختم به نبوته وأنزل به آخر كتبه كان خيراً له ، كما عليه أن يتعلم الصلاة والذكر فيها.

وهذا الذى ذهب اليه الشافعى اجماع لاخلاف فيه ، غير أنه روى عن الامام أبى حنيفه رضى الله عنه قول شاذ بجواز بعض أذكار الصلاة والتلاوة فيها بغير العربية لمن تعذر عليه تعلم ما يجب منها، وقد صح عنه أنه رجع عن هذا القول المقيد بالضرورة الشخصية.

وتكرر فى القرآن الكريم بيان كونه كتابا عربيا وحكماعربيا، وتكرر الامر بتفسيره والفقه فيه والاتعاظ به والتأدب بآدابه، وهذا مما يجعل المسلمين ينساقون بمقتضى الايمان والعقيدة الى معرفه لغة كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لتفهمهما والتعبد بهما. وكذلك الشأن فى الفتوحات الاسلامية فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين ، وعهد بنى أمية والعباسيين : يبلغ المسلمون الدعوة لكل قوم بلغتهم ، حتى اذا ماهدى الله من شاء منهم ودخل فى الاسلام علموه لغته ، وأحكامه فيقبل الداخلون على تعلم اللغة العربية ، لأنها لغة الدين الذى ارتضوا ، وبهذا أستعرب المصريون فى مصر ، والشاميون فى سوريا وفلسطين والأردن ، وسلالة البابليين والاشوريين والكلدانيين فى العراق وغيرهم.

ولم يضعف انتشار اللغة العربية الا بعدأن وقفت الدعوة الى الاسلام ، ولو سارانتشار اللغة بالقوة الأولى التى سار بها على أيدى المسلمين الأوائل لاستعرب كل من دخل فى لاسلام من الامم. وقد أشار صلى الله عليه وسلم فى الحديث الآتى الذى أبطل به مكر قيس بن مطاطية حين أراد أن يكيدلوحدة المسلمين ، ويفرق شملهم الى ما للتكلم باللغة العربية من أثر عظيم فى الاتحاد الكامل والانسجام التام بين أفراد الامة الواحدة.

روى الحافظ ابن عساكر بسنده الى مالك رضى الله عنه عن الزهرى عن أبى سلمة ابن عبدالرحمن قال : جاء قيس بن مطاطية الى حلقة فيها سلمان الفارسى وصهيب بالرومى وبلال الحبشى رضى الله عنهم ، فقال : هذا الاوس والخزرج قد قاموا

انصرة هذا الرجل فما بال هذا؟ يريد هذا المنافق أن الاوس والخزرج من العرب قوم محمد صلى الله عليه وسلم ، فاذا نصروه فلانه منهم ، فما الذى يدعو الفارسى والرومى والحبشى الى نصرته؟ فقام اليه معاذ بن جبل رضى الله عنه فأخذ بتلابيبه ثم أتى النبى صلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الله عليه وسلم به فأخبره بمقالته، فقام النبى صلى الله عليه وسلم مغضبا يجر رداءه حتى أتى المسجد ثم نودى : الصلاة جامعة، وقال صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ان الرب واحد، والأب واحد، وان الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وانما هى اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربى. فقام معاذ فقال : فما تأمرنى بهذا المنافق يارسول الله : قال : دعه الى النار، فكان قيس ممن أرتد فى الردة فقتل.

والدعوة اليوم الى أن يعتبر بهذا أخوتنا المسلمون من غير العرب فيقبلوا على الالتزام بتعلم اللغة العربية، واعطائها من العناية فوق مايعطون اللغات الغربية، فيجعلوها اللغة الثانية ويمحوا الجهل بها حتى لايجهلها أحد منهم، وأن يستعربوا ما أمكن فهذا أجدر بهم كمسلمين وأعظم تيسيرا لفهم القرآن الكريم والسنة المطهرة، وأعون على معرفة الواجبات الدينية وتحصيل الثقافة الاسلامية، وأشد توثيقا لروابط الوحدة الاسلامية.

أيها المسلمون لستم على شئ حتى تقيموا كتاب الله، وما أنزل اليكم من ربكم على لسان رسوله: اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون. قال الامامان(١) : جمال الدين ومحمد عبده بعد بحث طويل فيما أصاب الامة من التأخر والضعف والذلة والهوان ايضا تحت عنوان : سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا يبحثان الداء ويتناولان مختلف أنواع الادوية : ومنها الجرائد والعلوم والثقافة الغربية بالتحليل والنقد ليصفا الدواء الناجع :

لاأطيل عليك بحثا ولا أذهب بك فى مجالات بعيدة من البيان ولكنى أستلفت نظرك الى سبب يجمع الأسباب ووسيلة تحيط بالوسائل . أرسل فكرك الى نشأة الأمة التى خملت بعد النباهة، وضعفت بعد القوة، وأسترقت بعد السيادة وضيمت بعد المنعة وتطاب أسباب نهوضها الأول حتى تتبين مضارب الخلل وجراثيم العلل، فقد يكون ماجمع كلمتها وأنهض همم آحادها

---

(١) صفحة ١٣٤ من العروة الوثقى نفس الطبعة ، ولا اطيل دون لا نطيل لأن الكلام بلسان الشيخ عبده المحرر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولحم مابين أفرادها وصعد بها الى مكانة تشرف منها على رءوس الأمم وتسوسهم وهى فى مقامها بدقيق حكمتها انما هو دين قويم الاصول محكم القواعد شامل لانواع الحكم باعث على الألفة داع الى المحبة مزك للنفوس مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول باشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل مايحتاج اليه الانسان من مبانى الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها ، ويتأدى بمعتقديه الى جميع فروع المدنية.

فان كانت هذه شرعتها ، ولها وردت وعنها صدرت فما تراه من عارض خاللها وهبوطها عن مكانتها انما يكون من طرح تلك الأصول ونبذها ظهريا ، وحدوث بدع ليست منها فى شئ أقامها المعتقدون مقام الاصول الثابتة ،وأعرضوا عما يرشد اليه الدين وعما أتى لأجله ،وماأعدته الحكمة الألهية له حتى لم يبق منه الا اسماء تذكر وعبارات تقرأ فتكون هذه المحدثات حجابا بين الأمة وبين الحق الذى تشعر بندائه أحيانا بين جوانحها.

فعلاجها الناجع انما يكون برجوعها الى قواعد دينها، والأخذ بأحكامه على ما كان فى بدايته، وارشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب وتهذيب الأخلاق،وايقاد نيران الغيرة،وجمع الكلمة، وبيع الأرواح لشرف الأمة، ولأن جرثومة الدين متأصلة فى النفوس بالوراثة من احقاب طويلة، والقلوب مطمئنة اليه،وفى زواياها نور خفى من محبته فلا يحتاج القائم باحياء الأمة الا الى نفحة واحدة يسرى نفسها فى جميع الارواح لأقرب وقت، فاذا قاموا لشئونهم ووضعوا أقدامهم على طريق نجاحهم، وجعلوا أصول دينهم الحقة نصب أعينهم فلا يعجزهم بعد أن يبلغوا بسيرهم منتهى الكمال الأنسانى.

ومن طلب اصلاح أمة شأنها ماذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططا، وجعل النهاية بداية، وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد، ولايزيد الأمة الا نحسا، ولايكسبها الا تعسا اه .

والله الموفق الى جماع الخير والهادى الى سواء السبيل.

« محمد المبارك عبد الله »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

-: أنتهت الرسـالة :-

« وكان الفراغ من أعدادها للطبع فى مدينة ام درمان حرسها الله أيام مولده الشريف عام ١٤٠١ من هجرته المجيدة »

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كتب مطبوعة للمؤلف

١ — مقدمة التفسير

٢ — تفسير جزء عم

٣ — الناقد الحديث

٤ — اركان الاسلام

٥ — اركان البناء الاسلامى

أ — كتاب الايمان

ب — كتاب الصلاة

ج — كتاب الزكاة

د — كتاب الصوم

هـ — كتاب الحج

و — برنامج الحاج والمعتمر

٦ — دراسات فى تاريخ الفكر الاسلامى

(من تاريخ المذاهب والفرق الاسلامية)

٧ — المنطق فى شكله العربى

أ — فى التصور

ب — فى التصديق

٨ — الاصول الاشتراكية فى الاسلام

٩ — مع التعليم الدينى فى السودان

أ — الجزء الاول

ب — الجزء الثانى

ج — الجزء الثالث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

١٠ — رسالة فى الخمر والميسر والسباق

١١ — عن الخمر والميسر والسباق والوحدة الاسلامية

أ — الخمر

ب — الميسر

جـ — السباق

د — الوحدة الاسلامية

١٢ — فى التصوف

١٣ — الشباب والتربية الاسلامية

١٤ — أسماء الله الحسنى

١٥ — مع الرسول فى طريق البلاغ

أ — العقائد الاسلامية من القرآن الكريم

ب — من السيرة النبوية الشريفة

١٦ — الاسلام والاصلاح الاجتماعى

كتب معدة للطبع

١ — رسالة فى الجبر والاختيار

٢ — رسالة فى آداب البحث والمناظرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أهم المراجـــع

القرآن الكريم

كتب التفسير

السنة المطهرة

صحاح كتب السنة والسيرة

بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد

الفقه على المذاهب الأربعة

أحكام القرآن للجصاص

الفتح الكبير للنبهانى فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير للسيوطى

الخمر بين الطب والفقه للدكتور محمد على الباز

الوحى المحمدى للسيد رشيد رضا

اصول الفقه وتاريخ التشريع للشيخ عبدالوهاب خلاف وغيره

اللسان

القاموس

المصباح المنير

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تصويب لما قد يخفى من الأخطاء المطبعية

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
صحيحهما	صحيحيهما	٣	٧
قد كفا	قد كنا	١٢	١٦
ينهنا	ينهنهنا	٢٦	٤
أو السكر	ام السكر	٣٤	٢ هامش
شرافة	حراسة	٣٦	٢٠
إلى الفرا	إلى الفقراء	٥٩	٢
لابتوفيقه	إلا بتوفيقه	٦٢	١٢
فأعبدون	فاعبدون	٧٨	٣
فأتقون	فاتقون	٧٨	٧
اللهم أشهد	اللهم اشهد	٧٨	١٥
أصوال	أصول	٨٠	٢٤


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طبع بالمطبعة الحكومية

14